مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات الفلسفية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ٦٨٢ لسنة ١٩٩٩
ISSN ٠٩٣٤-٢٢٢٤ رقم الإيداع الدولي
info@bayalhikma.iq

تمثلات السعادة في الفلسفة المسيحية الوسيطة ـ دراسة في فكر (اوغسطين وبؤثيوس وتوما الاكويني)

تاريخ تقديم البحث:- ٢٠٢٥/٤/٢٠
تاريخ قبول البحث:- ٢٠٢٥/٤/٢٦

م.د. زينب والي شويع (*)

الملخص

يتناول هذا البحث دراسة تمثلات السعادة في الفلسفة المسيحية الوسيطة من خلال فكر اوغسطين وبؤثيوس وتوما الاكويني ويركز على تحليل الأسس الفلسفية واللاهوتية التي قامت عليها رؤى هؤلاء الفلاسفة، وكيف انعكست على تصور شامل للسعادة يوازن بين العقل والايمان. بعدَّها المرتكز الغائي الأساسي للوجود الإنساني. وقد أظهرت الدراسة ان كل فيلسوف قدم رؤية متمايزة، فرأى اوغسطين السعادة غاية روحية متمثلة بالاتحاد بالله، بينما ركز بؤثيوس على دور العقل والفضيلة في تحقيق السعادة، اما الاكويني فأسس لفلسفة عقلانية تجمع بين العناصر المسيحية والفلسفية للوصول الى السعادة الكاملة والتي تتجلى برؤية الله، وتوصل البحث الى ان تمثلات السعادة لدى هؤلاء الفلاسفة لم تكن مجرد انعكاس لعصرهم الفكري والديني، بل أسهمت في إعادة صياغة المفهوم الفلسفي للسعادة، مما منح الفكر المسيحي الوسيط عمقا اصيلا وأثرا امتد الى الفلسفة الغربية المعاصرة.

الكلمات المفتاحية: السعادة ــ اوغسطين ــ بؤثيوس ــ توما الاكويني ــ الله

المقدمة

تعدّ السعادة من القضايا الفلسفية الجوهرية التي شغلت العقل الإنساني من البدايات الأولى للفكر الإنساني إذ ارتبطت على الدوام بفهم الانسان لذاته وغايته وموقعه في الوجود، ومعنى ذلك الموقع، وقد تباينت التصورات حول السعادة بين المدارس الفلسفية القديمة، فبينما عدّها ارسطو غاية قصوى تتحقق عبر الفضيلة والأخلاق الحسنة، نظر اليها الرواقيون بعدّها حالة من

(*)الجامعة المستنصرية/ كلية الاداب/ قسم الفلسفة
drzainabwaly@uomustansiriyah.iq

Semi-annual journal issued by Department of Philosophical Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
Issn.2224-0934
Info@baytalhikma.iq

الطمأنينة الداخلية مع الكون، في حين عدها الافلاطونيون اتحادا مع الخير الكلي. ومع انتقال الفكر الفلسفي الى العصور الوسطى، مرَّ مفهوم السعادة بتحولٍ عميقٍ بفعل تلاقي الفلسفة مع اللاهوت المسيحي، حيث لم تعد السعادة تقتصر على الفضائل الأخلاقية، بل تمثلت بالارتباط بفكرة الاتحاد بالله ورؤيته، أي انها تمركزت بالوجود الإلهي فحسب، وفي هذا السياق برز ثلاثة من اعلام الفلسفة المسيحية الوسيطة (اوغسطين، بؤثيوس، توما الاكويني) اللذين اسهموا في إعادة صياغة مفهوم السعادة على وفق رؤية تجمع بين تعاليم اللاهوت المسيحي والتأملات العقلية الميتافيزيقية.

وتكتسب هذه الدراسة أهميتها من كونهم مثلوا ثلاث لحظات فكرية متمايزة ضمن اطار زمني واحد اتسم بخصوصية الطابع الديني، فقد قدم اوغسطين رؤية ميتافيزيقية جعلت السعادة غاية روحية تتحقق بالاتحاد الكلي بالله، في حين حاول بؤثيوس التوفيق بين العقل والايمان ليقدم تصورا عقلانيا اكثر مرونة، وصل ذروته مع الاكويني الذي قدم بناءً فلسفيا يربط بين العقل واللاهوت المسيحي، يميز فيه بين السعادة الناقصة في الدنيا والسعادة الكاملة في الاخرة.

وبذلك يتضح ان مفهوم السعادة في الفلسفة المسيحية الوسيطة يشكل محورا مركزيا لفهم العلاقة بين الانسان والله، وبين العقل والايمان، بين البعد الدنيوي والاخروي للحياة. ومن هنا تنبثق إشكالية هذا البحث والتي تسعى الى الإجابة عن السؤال الاتي : ما هي تمثلات السعادة في الفكر المسيحي الوسيط؟ و ما الاسس الفلسفية واللاهوتية التي قامت عليها تلك التمثلات لدى الفلاسفة الثلاث (اوغسطين وبؤثيوس والاكويني)؟ وكيف انعكست هذه الأسس في بناء تصور شامل للسعادة يوازن بين العقل والايمان؟

ومما لاشك فيه ان معالجة هذا السؤال تمكّن البحث من دراسة العمق المفاهيمي للسعادة وتحليل أوجه التشابه والاختلاف بين الفلاسفة الثلاثة بما يوفر فهما اكثر شمولية للغائية الإنسانية وفقا للفكر المسيحي في العصور الوسطى.

أولا ـ لماذا شكلت فكرة السعادة جزءا أساسيا من انطولوجيا الانسان؟

الانطولوجيا تبحث في ماهية الوجود مجردا من كل تعيين او تحديد، وما يتعلق به من قضايا الوجود الإنساني[1]. وقيل أيضا انها تبحث عن صفات الموجود في ذاته[2].وعندما نقول ان السعادة جزء من انطولوجيا الانسان فهذا يعني ان السعادة ليست مجرد هدف خارجي او حالة عارضة، بل هي عنصر بنيوي في كينونة الانسان نفسها، مرتبطة بتصوره لوجوده، والغاية منه.

إذن السعادة غاية انطولوجية للوجود الإنساني ككل.

وبالعودة الى مؤسس علم الانطولوجيا ارسطو

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات الفلسفية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ٦٨٢ لسنة ١٩٩٩
ISSN ٠٩٣٤-٢٢٢٤ رقم الإيداع الدولي
info@bayalhikma.iq

(٣٨٤ــ ٣٢٢ ق.م) نجده يبين في كتابه (الاخلاق الى نيقوماخوس) ان السعادة هي الخير الاسمى الذي يتجه اليه كل فعل انساني، ذلك ان كل نشاط انساني ــ سواء أكان نظرياً او عملياً ــ يهدف في النهاية الى تحقيق حالة الكمال الإنساني، وهذا لا ينفصل عن طبيعة وجوده الأصيل، ويعبر عن ذلك بقوله : ((الخير هو الغاية نفسها التي تبتغى دائما من اجل تلك الغاية يفعل الانسان باستمرار كل الباقي، وبنتيجة بينة اذا كان يوجد لكل ما يمكن للإنسان ان يفعله على العموم غاية عامة اليها تتجه كل افعاله، فهذه الغاية الوحيدة هي الخير، كما يستطيع الانسان ان يتعاطاه، واذا كان يوجد عدة غايات من هذا القبيل فتكون إذن هي الخير))[٣]. لكن ما هو ذلك الخير الكلي؟

انه السعادة ــ كما يراه ارسطو ــ ((السعادة هي على التحقيق شيء نهائي كامل مكتف بنفسه مادام انه غاية جميع الاعمال الممكنة للإنسان... السعادة هي اكبر الخيرات، الخير الكلي))[٤].

اما مع الفلاسفة الوجوديين وتحديدا الفيلسوف الألماني مارتن هايدجر (١٨٨٩ـ ١٩٧٦) اصبح الانسان كائناً مفتوحاً على امكانياته، ووجوده يتحقق من خلال ما يسعى لتحقيقه، وبذلك تصبح السعادة تعبيرا عن التحقق الأصيل للوجود، أي بلوغ الذات لكينونتها الاصيلة، فمن دون تصور السعادة يفقد الانسان المعنى الأصيل للوجود ويصبح مجرد وجود مادي بيولوجي)[٥].

و عند كير كيجارد (١٨١٣ـ ١٨٥٥) وسارتر(١٩٠٥ـ١٩٨٠) أصبحت فكرة السعادة ترفع الانسان الى اتخاذ قرارات تعكس اصالته الوجودية، فهي ليست ترفا عرضيا، بل جوهر كينونته[٦]. وتعبير عن حريته التي وحد الفلاسفة الوجوديون بينها وبين الوجود.

إذن السعادة هي بنيّة انطولوجية أساسية في نسيج الوجود الإنساني، لأنها تمثل الغاية القصوى التي تمنح الانسان المعنى من وجوده، وتجعل منه كائنا ذا تجربة وجودية فريدة.

ثانيا ــ تمثلات السعادة عند اوغسطين

١ـ الرؤية الاوغسطينية لمفهوم السعادة

يعدّ مفهوم السعادة مرتكزا أساسيا في منظومة القديس اوغسطين (٣٥٤ـ ٤٣٠م) الفلسفية والدينية على حد سواء. ذلك انه يمثل الغاية القصوى التي يسعى اليها الانسان، والشرط لكمال وجوده، وقد عالج ذلك المفهوم ضمن اطار منهجي يجمع بين الفلسفة واللاهوت مؤكدا ان السعادة الحقيقة لا تتحقق الا بالاتحاد بالله، بعده الخير الاسمى ومصدر كل كمال. ويعبر عن السعادة بوصفها نزوعا متأصلا في الطبيعة البشرية في كتابه (الاعترافات) قائلا : ((لكن اين ومتى عرفت بالاختبار سعادتي لا ذكرها واحبها واتوق اليها؟ وهذا لا يختص فيّ وحدي ولا بنخبة ضئيلة لأننا كلنا اجل كلنا نريد ان نكون سعداء، ان معرفة مضطربة لا توحي الينا بهذه الإرادة الثابتة. وماذا

Semi-annual journal issued by Department of Philosophical Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
Issn.2224-0934
Info@baytalhikma.iq

يعني هذا القول : سلوا رجلين ان كانا يريدان حمل السلاح، وقد يجاوب احدهما بالإيجاب والأخر بالنفي، ولكن سلوهما ان كانا يريدان السعادة فيجيباكم بلا تردد اجل هذا ما نصبوا اليه، وان كان احدهما قد حمل السلاح والأخر رفض فرغبته في السعادة . هذه الحالة وذاك جوابها لمن يسألهما ان كانا يرغبان في السرور، هذا السرور عينه هو ما يسميانه سعادة. الهدف الوحيد الذي يتوق اليه كل انسان بطريقته الخاصة حصولا على الفرح بانه لم يعرف السرور فإننا نجده في الذاكرة ونعرفه حين نسمع لفظ سعادة))[٧]

يرى اوغسطين ان كل الناس يتوقون الى السعادة، وذلك لان معرفتهم بها اصيلة ضمن نسيج وجودهم، لكنهم قد يخطؤون في تحديد السبيل الصحيح اليها، لذلك ابتدأ نصه الفلسفي بسؤال معرفي حول ماهية السعادة، وما اذا كانت معرفة حقيقتها ضرورية لتحقيقها.

إذن ما ماهيّة السعادة الحقّة؟ وأين نجدها بحسب اوغسطين؟ في كتابه (الحياة السعيدة) يعرف القديس السعادة بانها (امتلاك الله) لذا فان من يمتلك الله لن يفقد سعادته، ابدا فالسعادة لا تكمن في السعي وراء الخير الباطني، وهكذا يعد السعادة كيانا ثابتا لا يتغير، وفكرة وحقيقة مطلقة وحكمة وإلها. ومن ثم يتحول البحث عن السعادة الى معرفة حقيقي.[٨] وعليه فان الأفق الجديد الذي اصبح مجال اشتغال العقل هو باطن الذات، وبذلك تمكن من التشريع لمفهوم جديد في الفلسفة وهو مفهوم الانسان الداخلي، الذي اصبح مسكن الحقيقة ذاتها، إن العقل هو ما سيُمكن الذات من البحث عن حقيقة توجد فيها ولكنها اشمل منها، ونعني بذلك الله[٩]،بمعنى ان الذات هي محط الانبثاق والانطلاق نحو الله، حين تفهم وتعرف الله تدرك السعادة الحقة وتصل اليها.((حاشا لقلبي، حاشا لقلب عبدك الذي يعترف لك أيها الرب ان يفكر بان كل سرور يصيره سعيدا! هناك غبطة لا توهب للأشرار، بل للذين يخدمونك حبا بك. وانت هو تلك الغبطة، والسعادة هي ان يفرح الانسان بك ولأجلك وبسببك، اجل، تلك هي السعادة ولا سعادة إلا ها، وكل من يتصورون سعادة سواها يسعون في اثر فرح مخالف للحقيقة، ومع ذلك نجد دوما شكلا للفرح لا تفتأ ارادتهم تجده في اثره. أليس من الثابت ان الجميع يطلبون السعادة، لان من لا يبحثون عن فرحهم فيك ـ يا من انت وحدك الحياة السعيدة ـ لا يبتغون منه الحياة السعيدة؟ او انهم لا يبتغونها كلهم، ولكن كما ان الجسد يشتهي ما هو ضد الروح والروح ما هو ضد الجسد فهم لا يعلمون ابدا ما يريدون ويسقطون الى ما يقدرون عليه ويرضون به طالما ان ما لا يقدرون عليه لا يريدونه بإرادة قوية حصولا عليه))[١٠]. ((اني اسالهم جميعا اين يؤثرون فرحهم؟ أفي الحقيقة أم في الكذب؟ لا يترددون طويلا في ان يفضلوا الحقيقة على ان يثبتوا رغبتهم في السعادة، وعليه فالفرح الناتج عن الحقيقة سعادة، لآنه الفرح الآتي منك أيها الحقيقة عينها، ياالهي ونوري وخلاص وجهي يا الله))[١١]

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات الفلسفية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ٦٨٢ لسنة ١٩٩٩
ISSN ٠٩٣٤-٢٢٢٤ رقم الإيداع الدولي
info@bayalhikma.iq

. وبذلك نفهم ان ماهية السعادة وفقا للقديس اوغسطين هي ادراك الكائن الاسمى (الله) ومن ثم الاتحاد الكلي به.

والسؤال المهم الان : كيف تتجلى السعادة في أعماق الذاكرة؟

ان الرغبة في السعادة هي غريزة فطرية مستقرة في أعماق الذاكرة ـ كما يرى اوغسطين ــ يمنحها الله للإنسان كي يعيده بها اليه ويوجهه نحو السماء[١٢]. وهنا لا بد من الإشارة الى مدى البعد الانطولوجي المهم للذاكرة في كونها تمثل جزءا أساسيا في فينومينولوجيا الذات من جهة، ومن جهة أخرى كونها حلقة الوصل الأهم بين الذات والله. ويعبر اوغسطين عن ذلك بقوله : ((انهم يحبون الحقيقة طالما لا يريدون ان يكونوا مخدوعين، واذا يحبون الحياة السعيدة التي ليست الا الفرح الناتج من الحقيقة فمن الطبيعي اذا ان يحبوا الحقيقة أيضا، و لو لم يكن في ذاكرتهم ذكرٌ لها لما احبوها ولم يجدوا فيها فرحهم؟ ولم لا يكونوا سعداء؟ لا نهم منهمكون كثيرا بأشياء تجعلهم اشد تعاسة مما يوفر لهم من السعادة هذا التذكار الواهي، ألا يزال لدى الناس نور خفيف، فليمشوا، آه فليمشوا لئلا يدركهم الظلام))[١٣]. إذن ففكرة السعادة موجودة في عمق الذاكرة الإنسانية، وهو الامر الذي يجعلنا نعيّ ارتباط مفهوم السعادة بالطابع الابستمولوجي للإنسان. ((هاك مسافات ذاكرتي التي اجتزتها باحثا عنك يا الهي وما وجدتك خارجا عنها. كلا لم اجد فيك شيئا الا وتذكرته مذ اليوم الذي فيه تعلمت. انا اعرفك فمنذ ذاك الحين لم اعد انساك، وحيث وجدت الحقيقة وجدت الهي الحقيقة عينها. ومذ عرفت الحقيقة ما عدت نسيتها. ولهذا منذ عرفتك لا تزال ثابتا في ذاكرتي، فيها اجدك حين اتذكرك واغتبط بك، تلك هي سعادتي وهبتنيها برحمتك))[١٤].

ومن الجدير بالذكر انه أوضح الفرق بين السعادة الحقيقية والسعادة الزائفة في كتابه (مدينة الله) قائلا : ((ان الحياة الأبدية هي الخير الاسمى والموت الابدي هو الشرّ الأقصى، وعلى هذا النحو فكل من أراد اجتناب هذا والحصول على الآخر وجب عليه ان يحيا حياة صالحة،...، اننا لا نرى حتى الان ما هو خير لنا، ويجب علينا ان نسعى اليه بالإيمان، وليست لدينا القدرة الذاتية على ان نحيا حياة صالحة ان لم يساعدنا على ان نؤمن ونصلّي ذاك الذي اعطانا ان نؤمن بمساعدته، اما الذين يظنوّن انهم يجدون في هذه الحياة غايات الخيور والشرور، واصفين خيرهم الاسمى في الجسد او في الروح والجسد معا، وبتعبير اخر في اللذة، او في الفضيلة، او في كلتيهما، في اللذة والراحة، او في الفضيلة، او يضعونه في اللذة في الراحة والفضيلة، في الخيور الأولى للطبيعة او في الفضيلة او في تلك الخيور والفضيلة، فانهم باطلا يسعون الى السعادة ها هنا، وبخاصة إذ يجعلون انفسهم مبدأ السعادة[١٥]). ذلك يعني ان الله هو الدائم فان حيازة الله هي هذه اللذة الحقيقية أي السعادة. انها اعلى من قدرة الانسان وامكانياته مستحيلة

Semi-annual journal issued by Department of Philosophical Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
Issn.2224-0934
Info@baytalhikma.iq

التحقق، وهي مخصصة لأناس من قدرة معينة ومن معيشة روحية معينة في الحقيقة، انها حتى على ارفع الناس روحيا غير قابلة للتحقق على هذه الأرض، ذلك انها تستلزم العالم الثاني كي تتحقق وهي روحية صرفة.. باختصار لا توجد السعادة في لذائذ الدنيا وهي اذ هي رغبة طبيعية تأتينا من الله، توجد فيه وحدة، فمنه هو توجد السعادة[١٦]. ذلك ان ((الحياة السعيدة في الفرح القائم على الحقيقة، وهذا الفرح هو الله، لأنه هو الحقيقة، اذ لا يمكن ان يوجد فرح حقيقي بمعزل عنه))[١٧]

وعليه يمكننا القول ان اوغسطين يبين ان تمثلات السعادة تكمن في نوعين منها وعلى النحو الاتي :

ـ السعادة الحقيقية هي ما يتأله الانسان بالاتحاد الكلي مع الله مصدر الخير الاسمى، وهي غاية لا تزول ويصعب تحقيقها في هذه الحياة.

ـ السعادة الزائفة هي ما يتصوره الانسان من أنواع التمتع بخيرات زمنية او لذات جسدية او مجد دنيوي، وهذه مهما كثرت لا تمنح السلام الدائم، بل تزول أسبابها في لحظة.

وفي السياق ذاته يرى اتين جيلسون (١٨٨٤ـ١٩٧٨) ان السعادة عند اوغسطين تتجاوز حدود العقل الطبيعي، اذ لا تنال الا عبر الاستنارة الإلهية، فهي ليست حالة ذهنية فحسب، بل هي اتحاد بالله، وهذا لا يتحقق الا بواسطة النعمة الإلهية[١٨]. اما جيمس ويتزل (١٩٥٩ـ؟) رئيس جامعة)القديس اوغسطين (قدم قراءة مختلفة معبرا ان اوغسطين لا يطرح تصورا مثاليا للسعادة بل يعالجها من موقع الانسان الساقط الباحث عن النعمة، فالسعادة هنا لا تتجلى في تحقيق الكمال، بل في المسار الوجودي نحو الله، حيث تكون التوبة فعلا دائما يتجدد، فهو يعبر عن ذلك بقوله : ((ان اوغسطين يعيد تعريف السعادة من منظور الساقط، ويجعلها مرتبطة بمسيرة توبة[١٩].

ومن زاوية تطورية يتتبع روبرت اوكونيل (١٨٦٨ـ١٩٤٣) التحول في فكر القديس، من النزعة التأملية ذات الطابع الافلاطوني الى تصور اكثر مسيحية للسعادة. حيث لا تعود السعادة مجرد تأمل في مثال الحق، بل الراحة في الله نفسه، حيث تكون التوبة فعلا دائما يتجدد ((ان سعادة اوغسطين في البداية كانت افلاطونية الطابع، لكنه بعد التحول المسيحي، أعاد تشكيلها لتصبح الاستراحة في الله لا في العقل)[٢٠].

وهنا لابد من طرح السؤال الاتي : هل تمثلات السعادة عند اوغسطين ميتافيزيقية بحتة؟ الحقيقة ان موقف القديس من السعادة له طابع ميتافيزيقي اصيل، لكنه لم يكن ميتافيزيقيا بحتا ان صح قولنا، اذ يتضح الجانب الميتافيزيقي في كون السعادة الحقيقية لا تتحقق الا بالاتحاد في الله (الخير الاسمى) وبذلك يكون قد ربط بين السعادة الحقّة بمبدع الوجود ومعناه النهائي. لكن في الوقت ذاته لم يجعل منها مجردة تماما، بل ضمنها عناصر

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات الفلسفية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ٦٨٢ لسنة ١٩٩٩
ISSN ٠٩٣٤-٢٢٢٤ رقم الإيداع الدولي
info@bayalhikma.iq

أخلاقية، في فهمه لتمثلاتها، مثل المحبة والفضيلة والرجاء، فهو يرى ان الطريق الى السعادة الأبدية، يبدأ من هذا العالم، أي في الحياة العملية من خلال السلوك الأخلاقي كما سنرى ذلك.

اذن يمكننا القول انه موقف مركب: ميتافيزيقي من حيث الغاية (الاتحاد الكلي بالله). أخلاقي روحي من حيث الوسيلة (الفضيلة والمحبة والايمان). وعليه فالسعادة كما يراها اوغسطين ميتافيزيقية في جوهرها، أخلاقية عملية في ممارستها الواقعية.

٢ ـ الإرادة والسعادة

هل الإرادة شرطا لازما لبلوغ السعادة؟ يحتل مفهوم الإرادة مكانة محورية في فلسفة السعادة الاوغسطينية، اذ يشكل حلقة الوصل الحاسمة بين الطبيعة البشرية وغايتها النهائية، فالسعادة الحقيقية في تصوره ليست حالة شعورية مؤقتة، بل هي ثمرة لإرادة حرّة موجهة نحو الخير الكلي، أي الله، وعلى العكس فإن الإرادة المنحرفة عن مسارها القويم، حين تتعلق بالمحسوسات المادية وتخضع للشهوات، تقود الانسان الى السعادة الزائفة الزائلة، أي ان الانسان بإرادته يحصد ما يزرع من أفعال حرَّة.

الله خلق الانسان حرا لأنه تركه مسؤولا عن بلوغ غايته الأخيرة، فالأمر متروك له تماما في الاختيار بين الطريق الذي سيؤدي الى السعادة، او الى الشقاء وكلاهما ابدي[٢١]. يناقش اوغسطين ذلك المبدأ في كتابه (الاختيار الحرَّ للإرادة) قائلا: ((بالإرادة يستحق الانسان الحياة السعيدة، وبالإرادة كذلك يحصدون ما يزرعون، ولكن الان كيف يعاني شخص من حياة غير سعيدة بإرادته، مع انه لا احد يريد عيش حياة تعيسة على الاطلاق؟ كذلك كيف يحصل شخص ما على حياة سعيدة بالإرادة، مع ان الجميع يريدون ذلك، ولا يجعل عليها سوى قلة من الناس؟ هل يحدث هذا بسبب ان شيئا ما يراد بأسلوب خير او شر، في حين ان اخر من يستحق شيئا ما بسبب إرادة خيرة او شريرة؟

ان السعداء الذين هم خيرون أيضا، ليسوا سعداء لمجرد انهم أرادوا العيش بسعادة فحتى الأشرار يفعلون ذلك، بل هم سعداء لانهم أرادوا ان يعيشوا باستقامة، وهذا ما لا يريده الأشرار، ولهذا السبب، فلا عجب ان ينال غير السعداء من الناس ما يريدونه، اعني الحياة السعيدة، لانهم لا يفعلون فعلا حسنا، أي لا يعيشون باستقامة، ومن دون إرادة العيش المستقيم فلا احد يستحق الحياة السعيدة او يحصل عليها. ان القانون الازلي مؤسس بثبات صلب لا يتغير، وبها انه يتم التخلي عنه في الإرادة لذا كانت التعاسة. ان المكافأة والعقاب هما في السعادة وعدمها. وهكذا فعندما نقول ان الناس غير سعداء بسبب الإرادة فإننا لا نعني بذلك انهم سيكونون كذلك، بل ان حالة ارادتهم يترتب عليها بالضرورة حصول التعاسة، حتى و ان لم يرغبوا في حصولها. و بناء على هذا

Semi-annual journal issued by Department of Philosophical Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
Issn.2224-0934
Info@baytalhikma.iq

فـان حقيقة كـون جميع النـاس يريـدون ان يكونوا سـعداء، ولكنهم غـير قادرين على تحقيق السـعادة لا يتناقـض مع حجتنـا لانهم ليسـوا جميعا يريدون العيش باسـتقامة، فالحياة السـعيدة تعـود الى إرادة العيش المسـتقيم)[٢٢]) أي ان الإرادة الإنسـانية لها تلـك الحريـة الكاملـة في اختيارها، امـا في توجهها نحـو الله او في الابتعـاد عنـه، وفي الوقـت ذاتـه يستوجب على العقل البشري ان يعترف بحقيقة ان تحقيق السعادة المنشودة لا يتأتى الا بالامتلاء بالخير والفيض الإلهي، وبـان الرغبة في هذا الخير هي من تدبـير الله خالـق كـل شيء، ان الإرادة الإنسـانية عندمـا تتباعد عن الله فأنها بذلـك تخالف الناموس الإلهـي، الـذي ألهم الله به البشر اجمعـين[٢٣]. ((إن سـعادتنا وسعادة أولادنا لا تتعلق ابدا بتلك الفانية التـي نفقدها في حياتنا او نتخلى عنها سـاعة الموت الى ايـد مجهولـة، قد تكون عـدوّة، الله وحده يجعلنا سعداء، الله وحده رضاالأرواح الحقيقي)[٢٤].

لكـن هـل معرفـة الله الكلية تسـلب الانسـان ارادتـه الحـرّة؟ يجيبنا اوغسـطين : ((عندما تكون سـعيدا، فلـن يكـون ذلك ضـد ارادتـك وإنما عن طيـب خاطـر، لذلك عـلى الرغـم مـن ان الله لديه معرفة مسـبقة بسعادتك في المستقبل، ولا يمكن ان يحـدث شيء خلاف معرفته تلك. فمنذ ذلك الحين لـن يكون ذلـك علما مسـبقا يلغـي الإرادة. فنحن لسـنا مجبرين على التمسك انطلاقا من هذه الأسس بشيء بعيد عن الحقيقة، اعني انك لا تريد ان تكون سعيدا.ان معرفة الله المسبقة عن سعادتك المستقبلية (وهو امر مؤكد حتى اليوم) لا يسلبك ارادتك في السـعادة في الوقت الذي تبدا فيه السعادة، والشيء نفسه في الإرادة المستحقة بمعزل عنك لمجرد ان الله يعلم مسبقا انها ستكون كذلك)[٢٥].

فضلا عن ذلك، فإنه يربط بين الإرادة والمحبة، فالسعادة الحقيقية مرتبطة بمحبة الله، إذ يرى ان من يحب الله لن يخشـى فقدان الخير، ومن ثم السعادة، لان الله ثابـت وابدي. اما من يختار محبة المخلوقات لأجـل ذاتهـا، لا لأجـل الله فانـه معـرض لفقدانها وللألم الناتج عن ذلك.

((ومـا أحببـت حـين احب؟ لا احـب الجمال الجسـدي ورونقه الزائل ولا احب النور السـاطع، الـذي تعشـقه عينانـا ولا انغـام الأناشـيد العذبـة المختلفـة الأصـوات ولا اريج الزهـور الفَّواح ولا العطـور ولا الطيـوب،..، كـلا لا احب شـيئا من ذلـك كله، حين احب الله، انـما هناك نورٌ وصوت، وشذا وقوت وقبله احبها حين احب الهي : هو نور الانسـان الباطني وصوته وشـذاه وقبلته. الذي فيَّ حين يسـطع لنفسي نـور لا يحده مكـان وتتجاوب انغـام تبقى عـلى الزمـن، وتفوح عطـور لا تبددها ريـح، ونـذوق قوتـا لا يغنيـه نهـم وحين لا يشـبع القبـلات، ذاك ما احـب، حين احب إلهـي))[٢٦]). لان ((الالـه الواحـد القديـر الخالـق لكـل نفـس وجسد ينبوع السعادة لكل من هو سعيد حقا[٢٧]))
فـ ((هو وحده يعطي السعادة الحقيقية))[٢٨].

وكـما ان جميع الاهـواء واحـدة في الحب الذي

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات الفلسفية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ٦٨٢ لسنة ١٩٩٩
ISSN ٠٩٣٤-٢٢٢٤ رقم الإيداع الدولي
info@bayalhikma.iq

تنبع منه كذلك جميع الفضائل واحدة في الحب الذي يقوم الاهواء ويوجهها الى غايتها المشروعة. ومن هنا يأتي الاعتماد المتبادل وعدم انفصال الفضائل، يتفق الجميع على ان الفضيلة هي الطريق الوحيد الى السعادة، وهي هدف الحياة الأخلاقية. لذلك اذا كان الحب هو الإرادة نفسها، فان اسمى فضيلة هي اسمى حب[٢٩]. وعليه فالإرادة التي تتجه نحو محبة الله تبلغ السعادة الحقيقية الأبدية.

٣ـ البعد الأخلاقي والروحي للسعادة

يُبرز اوغسطين البعد الأخلاقي والروحي للسعادة بعدّها ثمرة التوجه الصادق نحو الله، فالبعد الأخلاقي يظهر من خلال دعوته الى تنقية الإرادة من نزعات الانانية والخطيئة وتوجهها نحو الخير الاسمى، أي الله ذاته. اما البعد الروحي فيتجلى في كون السعادة حالة من الطمأنينة الداخلية و (راحة القلب) التي لا ينالها الانسان الا عندما يتجه بكل كيانه نحو الحق الإلهي، بذلك تصبح السعادة عند اوغسطين خبرة مزدوجة تتمثل بـ التزام أخلاقي يقوم على الفضيلة وانفتاح روحي يعبر عن الاتحاد بالأسمى، حيث يلتقي الانسان بغاية وجوده ويجد اكتماله الحقيقي، ووصف جيلسون ذلك بدقة في قراءته للسعادة الاوغسطينية عندما ذهب الى انها العودة المستمرة للنفس الى الله، مما يجعل من التجربة الأخلاقية مدخلا الى التجربة الروحية، فإن الانسان لن يسعى الى ان (يصنع) حياة سعيدة، لكنه سوف يسعى الى الله لكي يهبه الحياة السعيدة، فهو وحده القادر ان يمنحه إياها[٣٠]. أي انه لا يفصل بين البعد الأخلاقي والروحي، بل يرى ان كليهما يشكلان بنية واحدة تفضي الى الخير الاسمى ومن ثم الى السعادة[٣١]، وهو ما يؤكد العلاقة التكاملية العميقة بين الاخلاق والسعادة.

عبر اوغسطين عن ذلك بقوله: ((حين اتحد بك، افقد كل شعور بالألم والتعب، وتمتلئ حياتي منك وتصبح حياة صحيحة! أنت تخفف عن كاهل من تملأه وانا الآن لست ممتلئا، ولهذا فإني اثقل على ذاتي، ان افراحي التي ابكيها تقاوم اجزائي التي بها اغتبط))[٣٢]. هذه السعادة هي خير روحي لا تهدمه خسارة جميع الخيرات المادية، لكنها بحاجة للامتلاء الذي هو ضد النقص والتعاسة. وليس هو امتلاء حقيقيا الا اذا قام على العدالة بلا زيادة ولا نقصان وحافظ على التوسط والموقف المعتدل. الامتلاء. اذن هو توسط تتحرر به الروح من الافراط الى الزيادة (الطموح. الترف. التكبر.. الخ)، ومن النقص (إذلال النفس. الوحشة. الفظاظة. الحزن. الشهوة) وسائر الرذائل التي تضئل الانسان وبذلك فإن الامتلاء ـ أي الاعتدال هو الحكمة والتي تعني السعادة[٣٣].

وعن تمثلات البعد الأخلاقي ـ الروحي للسعادة، نجد ان اوغسطين يبينها قائلا : ((عين النفس هو العقل، ولكن لا يكفي دوما ان تنظر لترى. النظر التامّ والمستقيم الذي يتبع الرؤية يسمى أيضا فضيلة، والفضيلة هي في الحقيقة استقامة وكمال العقل، على ان النظر لا يصوب

Semi-annual journal issued by Department of Philosophical Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
Issn.2224-0934
Info@baytalhikma.iq

الى نـور الاعين التي شـفيت مـن دون حضور دائم للثلاثـة التاليـة : الايـمان الـذي يجعله يعتقـد ان ما يجـب ان يتوجـه بنظـره اليـه يضمـن له السـعادة، وثانيهـما الرجـاء الـذي اذا حسـن تصويبـه جعلـه يـرى، وثالثهـما المحبـة التي تجعلـه يتـوق الى رؤية مبتغـاه والتمتـع به. النظر يوصـل الى رؤية الله، أي الغايـة وهـذا لا يعنـي ان النظر لن يعـود له وجود بـل لـن يعود له غايـة يندفـع اليها. وفي ذلـك عينه كـمال حقيقـي للفضيلة، وهو ان العقـل يبلغ هدفه الـذي هو الحياة السـعيدة، عـلى ان الرؤية ذاتها هي تلـك الفكرة في النفـس التي تجد كمالهـا في التعاون بين مـن يفكر والفكرة ذاتها، والشيء قائم بالنسـبة الى الاعـين حيث النظـر يحتوي على اثنين : حاسـة ترى وشيء محسـوس حتى إذا حذفت واحدا منهما اسـتحالت الرؤية)[٣٤]). وهنا نلمس مدى تصوره للسـعادة كونهـا تتجـلى في الاتحـاد بالله مـن خلال العقل المسـتنير بالفضيلة، فـالإرادة الموجهة الى الله عبر الرجاء والمحبة هي التي تمنح الذات استقرارها الحقيقي، وهنا يتضح البعد الروحي للسعادة، فهي ليست محض انضباط أخلاقي بل خبرة وجودية في الاتحاد الكلي بالكائن الاسـمى الـذي يعطي الحياة قيمتها.

ثالثا ـ تمثلات السعادة عند بؤثيوس

١ـ السعادة بوصفها غاية لكل كائن عاقل

يقـدم بؤثيـوس (٤٨٠ـ٥٢٤م) قراءته لمفهوم السـعادة من خلال انطلاقه من مبدأ أسـاس يؤكد ان جميـع الموجـودات العاقلة تسـعى بوعـي او من دونه الى غاية واحدة مشـتركة هي السـعادة، ورغم اختلاف السـبل التي يظن الناس انهـا تحققها، فإن الغايـة واحـدة لا تتجـزأ. ولهـذا التصـور جـذورا في الفكـر اليونـاني، لاسـيما الفلسـفة الافلاطونيـة والرواقيـة[٣٥]. حيـث تعد السـعادة غايـة الطبيعة الإنسـانية، وجـزءا جوهريـا في انطولوجيتهـا الخاصـة. الا ان بؤثيـوس يضفي على هـذا المفهوم طابعا وجوديا مميزا لا سـيما انه قدم تمثلاتها في نصه الأشهر (عزاء الفلسفة)، داخل اسوار السجن وفي طريقه الى الإعدام، لكي يعيد قراءة مفهوم السعادة في كنهها الأصيل[٣٦]

ويوضـح ذلـك بقولـه : ((ان سـعي الفانـين الـذي يكربهم أهدافه واتجاهاتـه، انما يمضي بهم في دروب مختلفـة قاصـدا في النهايـة الى هـدف واحد وهو السـعادة، انهـا الخير الذي اذا بلغه الانسـان لم يسـعه ان يصبـو الى أي شيء اخر. وهـي اذن الخير المكتمـل الاسـمى الذي ينطـوي في داخله على كل الـوان الخـير، لأنه لو افتقـر الى شيء خارجه لما كان الخـير الكامل، اذ يبقى هناك شيء خارجه قد يكون مرغوبـا[٣٧])).ويضيـف في ذلـك ((السـعادة هي حالة من كمال الخير، لاحتوائها على كل ما هو خير، والتي يسـعى اليها جميـع البشر الفانين وان تعددت الطرق، ذلـك ان الرغبة في الخير الحقيقي هي شيء متأصـل بالطبيعـة في نفـوس البـشر، ومـا يطيـش بهـم عن هذا الهـدف الا الخطأ والسـير في الدروب الضالـة الى الخـيرات الزائفـة))[٣٨]. وبذلـك فهـو

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات الفلسفية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ٦٨٢ لسنة ١٩٩٩
ISSN ٠٩٣٤-٢٢٢٤ رقم الإيداع الدولي
info@bayalhikma.iq

يقدم تصورا متكاملا للسعادة بعدَّها الخير النهائي والمكتمل الذي يشبع وجود الانسان اشباعا تاما. انها غاية لا تبقى بعدها غاية لأنها تحتوي في جوهرها كل ما يمكن ان يطلب من اجل تحقيق وجوده. وهذا يجعلها ذات تمثلات ميتافيزيقية واخلاقية ولاهوتية في ان معا. وتشير نصوصه الى ان كل مسعى الانسان يتجه نحو هدف واحد ((ان سعي الفانين الذي يكربهم بتنوع أهدافه واتجاهاته، انما يمضي بهم في دروب مختلفة قاصدا في النهاية الى هدف واحد وهو السعادة))[٣٩]. ذلك))ان السعادة هي حالة تخلو من الهم والحزن والاسى والمعاناة، اذ انه حتى في اصغر الأمور يسعى المرء الى ما يبهج به ويستمتع)) [٤٠].

٢ـ نقد السعادة الزائفة

يوجه بؤثيوس في عزائه الفلسفي نقدا لمظاهر السعادة الزائفة. التي ترتبط بالخيرات الدنيوية الزائلة والمؤقتة، كالغنى والسلطة والشهرة، والملذات الجسدية، ينطلق نقده من تساؤل وجودي يطرحه على النحو الآتي : كيف يمكن للمرء ان يشعر بالسعادة اذا كانت مؤقتة وقابلة للزوال في أي لحظة؟

ويعبر عن ملامح السعادة الزائفة بقوله : ((ان السعادة التي لا يشقى البشر بفقدانها لا يمكن ان تجعلهم سعداء بوجودها))[٤١] ((لا الثروة ولا السلطة ولا المنصب يصح ان تسمى بهذه الأسماء، والنتيجة نفسها تنسحب على الحظ [٤٢]، فليس فيه شيء يستحق عناء السعي، وليس فيه أي شيء من الخير الذاتي، ذلك انه لا يؤول دائما الى الاخيار ولا يجعل ممن يؤول إليهم اخيارا))[٤٣]. ويتساءل في ذلك قائلا : ((لماذا تسعون الى المجد والشهرة رغم التماسهما من خلال الفضيلة؟ ماذا يهمهم من امرر السمعة عندما ينتهي الجسد الى الموت الذي هو نهاية كل شيء؟ فاذا كان الفناء مقررا على الانسان الذي يقال انه حازها لم تعد موجودا، اما اذا كانت الروح واعية بعد ان تتحرر من سجنها الأرضي وتهفوا الى السماء، فلسوف تزدري كل شأن ارضي مبتهجة بالسماء سعيدة بانعتاقها من هذا العالم))[٤٤]

وفي السياق ذاته، يعزز بؤثيوس نقده لمظاهر السعادة الزائفة وفي تعليله لذلك نجده يقول في المناصب : ((اذا كانت المناصب اذن لا تجعل احدا جديرا بالإجلال، واذا كانت فوق ذلك تتلوث باتصالها بالأشرار، واذا كان بريقها يخبو بتغير الزمن، واذا كانت قيمتها تقل في تقدير الأمم الأخرى، فقل أي جمال فيها، هي ذاتها))[٤٥]. اذن فالمناصب شكلا من اشكال السعادة الزائفة.

اما الملك والسلطة : ((اذا كانت هذه السلطة الملكية تجلب السعادة حقا فان أي نقصان فيها يعني انحسار للسعادة وبداية للشقاء. أليس كذلك؟ ومهما اتسعت الامبراطوريات فمن المحتم ان يبقى كثير من الناس خارج نطاق أي ملك، وحيثما انتهت القوة التي تجلب للناس السعادة دبَّ فيهم الضعف وسبب لهم الشقاء [٤٦])). ونجده يقول في الحسب والنسب ((ليس يخفى على احد خواؤها وتفاهتها،

Semi-annual journal issued by Department of Philosophical Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
Issn.2224-0934
Info@baytalhikma.iq

فـاذا كانت تصدر عن الشـهرة فهي عادةٌ مسـتعارة لا فضـل للمرء فيها، بـل الفضل للآباء والاجداد. و ان فضـل الغـير لا يمكن ان ينبـع مجدا على ما هو عاطـل من المجـد)[٤٧]). اما عن اللـذة والاسرة ((ان السـعي اليها محفوف بالهمّم، والشـبع فيها مملوء بالنـدم كـم اورثـت أجسـاد المتهالكـين عليها من اسـقام وبتاريـخ، وكأنها ضرب من عقـاب الاثم، لسـت افهم أي سعادة في الشهوات اذا كان الاسى هـو نهاية اللذة)[٤٨]). بناءً عـلى ذلك فإن ((الثروة لا تغني، وان القوة لا شـأن لها بالملك ولا الاحترام بالمنصـب، وان المجـد الحقيقـي ليـس بالشـهرة، والسعادة الحقيقية ليست نتاج الملذات[٤٩])).

لكـن كيف نقـرأ العلاقة بـين السـعادة الزائفة والسعادة الحقيقية في ظل نص العزاء الفلسفي؟

لكـي نجيـب عـلى هـذا السـؤال، لابـد مـن الذهـاب الى ما توصل اليه جـون مارينبون John Marenbon في كتابه (بؤثيوس) الذي يرى ان نـص (العزاء) قـد تضمن تناقضا، فالفلسـفة تزود بؤثيـوس بتفسـيرين متعارضين للسـعادة. اذ تقول ان هبات الحظ (المال، السـلطة. المجد. الشهرة) لا تضر بالسـعادة الحقيقة (تبقى مساحات للسرور) واحيانا أخرى انها تؤكد اسـتقلال السعادة الحقيقة عن الحـظ تمامـا[٥٠]. بمعنـى انهـا وردت في النص الفلسفي على نحوين مختلفين، مرة بعلاقة تكاملية، وأخرى بعلاقة متضادة.

بينـما نجـد إليسـون غلاسـكووك Allison Glasscok لها رايا اخر حول ذلك، اذ اكدت ان الفلسفة ـ في حوارها مع بؤثيوس ـ لم تكن متناقضة بـل ان ما ورد في النص متسـق وليس متناقضا[٥١]. في إشـارة منهـا الى ان التفرقـة كانـت واضحـة بين نوعـي السـعادة (الزائفـة والحقيقيـة) وان كليهـما مختلف في المبدأ والهدف.

وفي تقديرنـا ان العلاقـة ليسـت مجـرد تناقض بـين ما هـو (زائف) و(حقيقي) بـل يمكننا تصوره بمسارٍ تصاعدي، فهو يستخدم نقد السعادة الزائفة لكي يبين كينونة السعادة الحقيقية. علاوة على ذلك ان هـذا النقـد لا يكتفـي بتفكيك تمثلات السـعادة الزائفة بل يدعو الى تحويل نظرة الانسان من الخارج الى الداخل، ومن الزائف الى الحقيقي الابدي، ومن الخداع والمظاهر الى الحكمة والسعادة الحقّة.

٣ـ تمثّل السعادة بعدّها (الخير الاسمى)

بعد ان بين بؤثيوس السـعادة كغاية نهائية لكل انسان، ينتقل الى تحديد ماهيتها وتمثلها بعدها (الخير الاسمى)، فالسـعادة في تصوره لا يمكن ان تكون مجـرد متعة او سـلطة او مال، لأنها خـيرات ناقصة وعارضـة، يمكن ان تمنح وتسـلب بفعل الحظ. اما الخـير الحقيقي فهو الذي اذا مـا بلغته النفس لم تعد تتطلع الى ما سواه. بذلك تصبح السعادة لديه غاية مكتفيـة بذاتهـا. ومـن ثـم لا تطلب لـشيء اخر بل لكونهـا تمام الكمال، ويعبر بؤثيوس عن ذلك بقوله : ((كل انسان ان ما يرغب فيه فوق كل ما عداه هو الخير الاسـمى، الخير الاسمى هو السـعادة)[٥٢]).

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات الفلسفية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ٦٨٢ لسنة ١٩٩٩
ISSN ٠٩٣٤-٢٢٢٤ رقم الإيداع الدولي
info@bayalhikma.iq

((ان الخير هو النقطة المحورية التي تتعلق بها كل المساعي والدوافع، فالرغبة الحقة هي في الشيء الذي يدفع الناس الى طلب هذا الشيء او ذاك) [٥٣] ((ينعقد اتفاق البشر جميعا على ان الله، بارئ كل شيء هو خير، إذ لا يمكن للعقل ان يتصور ما هو خير منه. وما لا يوجد خير منه لا بد من ان يكون هو نفسه خيرا. ويتحقق فيه الخير الاكمل. والا لما كان هو بارئ الخلق ولكان هناك من هو اعلى منه واكمل خيرا. واكثر قدما. لان الكامل اعلى بالضرورة من المنقوص. ومن ثم لكي نتفادى التسلسل اللانهائي لا بد من ان نسلم بأن الله الأعلى يتصف بأسمى خير واكمله. وحيث إننا قد اتفقنا على ان الخير الكامل هو سعادة كاملة. يترتب على ذلك ان السعادة الكاملة قائمة في الالوهية)[٥٤]). ينسجم هذا التصور مع الفلسفة الافلاطونية التي ترى ان الخير المطلق هو اصل الأشياء كلها، كما انه يتقاطع مع الاتجاه الرواقي في ربط السعادة[٥٥] بالاستقلال عن الظروف الخارجية، غير ان ما يميز بؤثيوس هو بين الخير الاسمى والجوهر الإلهي لان ((الله يحوز اسمى خير[٥٦])). ((بما ان الله خير عظيم، فهو سعيدٌ للغاية، لان السعادة هي تلك الحالة المثالية التي يتحد فيها كل شيء خير. الله هو السعادة نفسها لأنه الخير نفسه. وكما انه لا يمكن لاي كائن ان يكون خيرا الا بالمشاركة في خير الله، كذلك لا يمكن لاي كائن ان يكون سعيدا مالم يشارك في سعادة الله. ذلك ان رغبة الانسان الطبيعية في السعادة لا يمكن ان تتحقق باي خيرات جزئية، مثل الشهرة او الثروة او المتعة. ولكن فقط بالخير الكلي او الله. فقط من خلال المشاركة في الله، وبمعنى ما ان يصبح إلهيا، يمكن للإنسان ان يمتلك كل ما هو خير، وعندها فقط يكون سعيدا[٥٧])). وبالعودة الى نصوص بؤثيوس نجده يؤكد ((من خلال امتلاك السعادة يصبح الناس سعداء، وحيث ان السعادة في الحقيقة هي الالوهية، فمن البين انه من خلال امتلاك الالوهية يصبحون سعداء وبالمنطق نفسه الذي يصبح به الناس عادلين بالعدل وحكماء بالحكمة. فإن أولئك الذين يمتلكون الالوهية يصبحون إلهيين، كل امرئ سعيد هو اذن إلهي. وبينما الله وحده هو كذلك بالطبيعة فان بوسع أي عدد تشاء من الناس ان يصبحوا إلهيين بالمشاركة)[٥٨]). وبذلك فانه بنى مفهوم السعادة على أساس افلاطوني ـ رواقي لكنه ضمنها عناصر مسيحية، اذ قدم تصورا عقلانيا عن السعادة، وفي الوقت ذاته يبقى على البعد الإلهي. حيث ان السعادة الحقيقية عنده تتجلى في امتلاك الخير الأقصى، وما يمنحها للإنسان ليس المال او المنصب او اللذة، بل الاتحاد بالعقل الإلهي فحسب[٥٩].

لكن ماذا عن الأشرار والسعادة؟ ناقش بؤثيوس علاقة الأشرار بالسعادة في الكتاب الرابع من (عزاء الفلسفة) من خلال عقد مقارنة بين الاخيار والاشرار، ومن منهم الأقوى، ومن يستطيع فعليا الوصول الى السعادة الحقّة ((ان الاخيار هم الأقوياء مما لايدع مجالا للشك ان الأشرار ضعفاء عاجزون، ويتضح ان افلاطون

Semi-annual journal issued by Department of Philosophical Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
Issn.2224-0934
Info@baytalhikma.iq

كـان على حـق حين قـال في محـاورة (جورجياس) ان الحكـماء فقط هم القـادرون على تحقيق رغبتهم، بينـما ينـصرف الأشرار الى مـا يمنحهـم اللذة، ولا يسـتطيعون الوصـول الى هدفهـم الحقيقـي، ان افعالهـم تقـوم عـلى اعتقادهم بانهم سـوف يبلغون الخير الذي ينشدونه من خلال ملذاتهم. ولكنهم لا يبلغونه لان الرذائل لا يمكن ان تبلغ السعادة[٦٠]).

وقد درس بيتر كينغ السـعادة في سياق مشكلة الشر عند بؤثيوس موضحا ان الأشرار لا يمكن ان يكونوا سعداء لانهم منفصلون عن الخير الحقيقي، ويوضح ان السـعادة ليسـت فقط هدف الحياة، بل هي نتيجة السـلوك الفاضل واتحاد النفس بالحكمة والعقـل الإلهـي [٦١]. بنـاء عـلى ما تقـدم يتضح ان تمثـلات السـعادة عنـد بؤثيـوس تكمـن في الاتحاد العقـلي والروحـي مـع الله، وهو الامر الـذي ينتج عنه انساناً يتحلى أولا بالفضيلة الخلقية، وبالسعادة الحقيقية ثانيا.

٤ـ السعادة بوصفها علاجا وجوديا

لا ينظر بؤثيوس الى السعادة كونها مجرد هدف أخلاقي او حالة شعورية مؤقتة لإنقاذ الانسان من ازمته الوجودية. وفي هذا السـياق تصبح السـعادة علاجـا للنفـس لا بالهـروب مـن الألم. بـل بإعادة توجيـه النظـر نحو الخـير الاسـمى الـذي لا يتأثر بالظـروف الخارجية. وكذلك بإعـادة فهم العلاقة بـين الذات ومظاهر الحظ، من خـلال فهم كينونته أي تقلباته. اذ يرى بؤثيوس ان الانسان حين يدرك ان سـعادته الحقيقيـة لا تقوم على المـال او المنزلة او اللـذة. بل على الاتحاد بالعقل الإلهي المُبدع للكون، فانـه يبدأ بالخروج من القلق والاضطراب الى حالة من التوازن والثبات. ((كل قدر هو قدرٌ سـعيد لو انك تلقيته بثبات ورباطة جأش. لم يبلغ احد قطٌ من السعادة حدا لا يتمنى معه، اذا ما استسلم للقنوط، ان يغير حاله، الا ما اشـدَّ المرارة التي تمتزج لحلاوة الحيـاة فعـلى الرغم من انها قد تبـدو ممتعة لذائقتها، فانه لا يمكن اسـتبقاؤها اذا هي أذنت بالزوال، الا ما أبأسها تلك السـعادة التي تأتي من حطام الدنيا، فلا هي تدوم للعاقل ولا هي تقنع الاحمق. لماذا اذن يا اهل الفناء تبحثون عن السعادة خارج أنفسكم

وهي كامنة فيها؟ ان الضلال والجهل ليذهبان بكـم كل مذهـب. دعنـي اوجـز لك سر السـعادة الخالصـة : ان هناك ما هو اعلى عندك من نفسـك؟ سـتقول لا، إذن اذا كنت سيد نفسك لإانت تمتلك شـيئا لا تـود ان تفقده على الاطلاق، ولا يسـتطيع الحـظ ان يسـلبك إيـاه. ان السـعادة هـي الخـير الأقصى للكائن الذي يعيش حياته بواسـطة العقل وكـان الخير الأقصى شـيئا لا يمكن ان يسـلب من صاحبـه عـلى أي نحو، لأنه ان يسـلب لكان من لا يسـلب خـيرا منـه، ينتج من ذلـك ان الحـظ بتقلبه وانعـدام ثباتـه لا يمكـن ولا يؤمـل فيـه ان يـؤدي الى السـعادة[٦٢]. ومن هذا المنطلـق تتحول تمثلات السـعادة الى علاج فلسفي ـ وجودي يعيد للإنسان توازنـه العقـلي، ويمنحـه القـوة لمواجهـة الفقـد والظلم، وتقلبات الحظ المختلفة. من خلال الوعي

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات الفلسفية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ٦٨٢ لسنة ١٩٩٩
ISSN ٠٩٣٤-٢٢٢٤ رقم الإيداع الدولي
info@bayalhikma.iq

بـان الخـير الحقيقـي لا يمنح مـن الخارج بـل يولد في داخـل النفـس فحسـب، وعليه تمكـن بؤثيوس مـن ان يعالج ذاته بالفلسـفة، لا بل قدم للإنسـانية طريقـا علاجيا لمجمل المشـكلات الوجودية بنصه الأهم (العزاء). والسـؤال المهم الآن : هل لا تزال الفلسـفة قادرة على أداء وظيفتها الجوهرية كما راها بؤثيوس؟

لقد تصور بؤثيوس الفلسـفة لا كمجرد نشاط نظـري بحتّ، بل كطبيب (للـروح) يعالجها مما تمر بـه من مطبات الحياة المختلفة. ويهديها الى السـكينة عبر الكشـف عن الخـير الحقيقي ومن ثم السـعادة المثلى، إذ كانت الفلسفة عنده ملاذا داخليا ووسيلة لفهم مصير الانسان والسمو به عن مظاهر السعادة الزائفة.

وفي انتقالنـا الى العـصر الراهـن نجـد ان العالم اليـوم اتسـم بالسرعـة الفائقـة والتطـور العلمـي الهائـل وما رافقتـه من ضجيج وتفكـك في المعنى. لـذا أصبحـت الفلسـفة منزويـة، او غـير قـادرة عـلى مداواة الانسـان المعـاصر من مشـكلاته. غير ان التأمـل العميـق يكشـف ان وظيفـة الفلسـفة لم تفقـد مشروعيتهـا، مـا دام الانسـان موجـودا فإن التفكـير الفلسـفي موجـود، بـل ازدادت الحاجـة، اذ لا تـزال تقـدم أدوات للتفكير النقـدي، وإعادة ترتيـب أولويات الحيـاة، وتفكيك أوهام السـعادة الزائفـة، تماما كـما فعل بؤثيوس، وهـو الامر الذي وجـد صداه عند بعض المشـتغلين في الفلسـفة على النحـو ذاته، حيث يرى لو مارنيوف ((ان المشـورة الفلسـفية تمثـل نمطـا علاجيـا يقـوم عـلى أدوات الحـوار او التفكـير الفلسـفي لمواجهـة الازمـات الوجودية او الأخلاقية او العاطفية، وهي لا تهدف الى تشـخيص الامراض بل الى توضيح القيم وحل التناقضات الداخليـة، وتنمية التفكير التأملي[٦٣]). لـذا فإن السـؤال لا يتعلق بقدرة الفلسـفة على أداء دورهـا فحسـب بـل بمـدى اسـتعدادنا للاسـتماع إليها. والانفتاح على خطابها في زمن يزداد بعدا كل يوم اكثر عن التأمل العقلاني الأصيل.

٥ـ تمثلات السعادة عند توما الاكويني

حاول القديس توما الاكويني (١٢٢٥ـ١٢٧٤م) ان يقدم رؤية متكاملة عن السعادة تجمع بين العقل والايـمان. اذ احتلت مكانة مهمة في بنائه الفلسـفي واللاهـوتي، بوصفهـا الغايـة القصـوى للوجـود الإنسـاني والمرتكـز الـذي تقـف عنده جميـع أفعال الانسـان. وعنـد قـراءة النـص التومـاوي نجد انه اسـتند في بنـاء تصوره عـن السـعادة الى مصدرين وهما : المصدر اليوناني الارسـطي، ولا سـيما كتاب (الاخلاق) حيث تبنى فكرة السـعادة كخير اسمى يتـم الوصول اليـه من خـلال الفضيلـة. والمصدر الاوغسـطيني، الـذي ركـز عـلى البعـد الروحـي للسعادة بطابعة المسيحي الأصيل[٦٤].

عمـد الاكويني الى دمـج هذيـن المصدرين في بناء نسيجه الفلسـفي ضمن رؤية خاصة متناسقة، اذ بـين ان السـعادة تبـدأ مـن خـلال نشـاط العقل وممارسـة الفضيلـة، لكنهـا لا تكتمـل الا في الحياة

Semi-annual journal issued by Department of Philosophical Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
Issn.2224-0934
Info@baytalhikma.iq

الأبدية، أي في الرؤية المباشرة لله، وبذلك فقد جعل من السعادة غاية انطولوجية تجمع بين كمال العقل وسمو الروح.

١ـ ما السعادة؟

يفتتح الاكويني بحثه الخاص بالسعادة بسؤال : ما هي غاية الانسان القصوى؟ ويجيب بانها السعادة، اذن السعادة هي الغاية النهائية للتجربة الوجودية للإنسان. ووفقا له فان السعادة ليست مجرد حالة نفسية او اشباعا عابرا للرغبات بل هي كمال الحياة الإنسانية من خلال التمتع بأنشطة خيرّة وحقيقية[٦٥]. ويقول في ذلك ((إذا اردنا بغاية الانسان القصوى الشيء الذي هو الغاية كانت جميع المخلوقات مشتركة فيها لان الله هو الغاية القصوى للإنسان ولسائر الاشياء، واذا اردنا بها ادراك الغاية لم تكن المخلوقات غير الناطقة مشتركة فيها لان الانسان وسائر المخلوقات الناطقة انما تدرك الغاية القصوى، بمعرفتها الله وجها إياه، مما لا تصلح له سائر المخلوقات التي انما تدرك غايتها القصوى باعتبار اشتراكها في شيء من شبه الله من حيث هي موجودة او حية او مدركة أيضا))[٦٦]. كل شيء يميل الى كماله الخاص، يميل الى الشبه الإلهي، كل ما يريده الانسان هو الوصول الى الغاية القصوى، وهذه الغاية هي سعادة الانسان، والتي تكمن في الله وحده الذي هو الخير الأول والشامل، مصدر كل الخيرات الأخرى [٦٧]

لكن هل يرغب الجميع في السعادة؟ يجيب الاكويني عن ذلك بتحليله الموقف المعرفي من السعادة قائلا: ((يجوز أن تعدّ السعادة على نحوين :أولا من جهة حقيقتها العامة وبهذا الاعتبار كل انسان يريد السعادة. بالضرورة، لان حقيقتها العامة كونها الخير الكامل، ولما كان الخير هو موضوع الإرادة كان الخير الكامل لإنسان ما يشبع ارادته وهذا يريده كل انسان. وثانيا من جهة حقيقتها الخاصة أي من جهة ما تقوم به السعادة، وبهذا الاعتبار فليس الجميع يعلمون السعادة، اذ لا يعلمون ما تصدق عليه حقيقتها العامة، فاذا ليس يريدها الجميع بهذا الاعتبار))[٦٨]. اذن نفهم ان الجميع يتوق الى السعادة كونها الغاية من الوجود، لكنهم لا يعلمون كنهها ومن ثم لا يستطيع الجميع الوصول اليها.

٢ـ المقتضيات الفكرية والأخلاقية للسعادة.

يرى الاكويني ان السعادة تمثل الغاية للوجود الإنساني، لكنها لا تتحقق الا بتوافر مجموعة من المقتضيات، حددها في نصه (الخلاصة اللاهوتية) والتي نذكرها على النحو الآتي :

ـ العقل (التأمل العقلي) : ان مهمة الوصول الى السعادة تقع على عاتق العقل التأملي النظري ـ كما يرى توما ((ان سعادة الانسان قائمة بمعرفة الله التي هي فعل العقل))[٦٩]. فالعلوم التأملية هي نوع من المشاركة في السعادة الحقيقية الكاملة[٧٠] هو ادراكها ضمن نطاق العقل التأملي. وبذلك فهو يربط السعادة ربطا وثيقا بقدرة العقل

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات الفلسفية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ٦٨٢ لسنة ١٩٩٩
ISSN ٠٩٣٤-٢٢٢٤ رقم الإيداع الدولي
info@bayalhikma.iq

الإنساني على بلوغ معرفة الجوهر الإلهي. عاداً ان أي سعادة بشرية لا تبنى على هذه الغاية العليا تظل ناقصة[٧١]. ((لو كان الانسان نفسه هو الغاية القصوى فتكون حينئذ سعادته قائمة بتدبير افعاله وانفعالاته وترتيبها. ولكن لما كانت غاية الانسان القصوى خيرا اخر خارجا، وهو الله، وهي لا ندركها الا بفعل العقل النظري، كانت سعادة الانسان اكثر قياما بفعل العقل النظري منها بفعل العقل العملي))[٧٢]. إن العقل وحده هو القادر على ادراك موضوع النعيم وغايتنا الأخيرة على الفور، انطلاقا من مبدأ أساسي وهو ان اكمل قوة للعقل هي التي يكون موضوعها اكمل ما يكون، أي ان موضوعها هو جوهر الله. وهذا الجوهر هو موضوع التأمل وليس العقل العملي، لذلك يجب ان يكون العقل الذي يشكل النعيم ذا طبيعة تأملية، وهذا يرقى الى القول يجب ان يكون فعل تأمل[٧٣]

ـ الإرادة الخيرة والفضيلة : ان الإرادة تمثل جوهر الفعل الإنساني، وتحقيق السعادة الكاملة يتوقف على توجيه الإرادة نحو الخير الاسمى (الله)، وعلى وفق ذلك يرى توما ان الإرادة الخيرّة هي الإرادة التي تسعى الى تحقيق الخير، وتتناغم مع الفضيلة الأخلاقية، والتي تمثل ملكة في النفس، تمكن الانسان من اختيار الخير بوعي وحرية وهي ليست محض عادات أخلاقية، بل قوى روحية وعقلية تجعل الانسان قادرا على السير في طريق السعادة الحقّة، ويقول في ذلك : ((الفضيلة هي ما يُهيئ قوى النفس لان تعمل في انسجام مع العقل، وبهذا الطريق يحقق الانسان سعادته القصوى[٧٤]). ((ان السعادة تقتضي استقامة الإرادة قبلها ومعها، اما قبلها فلان الإرادة تستقيم بتوجهها كما ينبغي الى الغاية القصوى ونسبة الغاية الى ما يتوجه اليها كنسبة الصورة الى الهيولى فكما لا يمكن تقبل الهيولى الصورة الا اذا توجه اليها الواجب، ومن ثمة لا يستطيع احد ان يبلغ السعادة ما لم يكن ذا إرادة مستقيمة، واما معها فلان السعادة القصوى قائمة برؤية الذات الإلهية التي هي ذات الخيرية بعينها،..، وعلى هذا فكل ما تحبه باعتبار حقيقة الخير الكلية التي يعرفها وبهذا تقوم استقامة الإرادة، فواضح اذن ان السعادة يستحيل مفارقتها الإرادة المستقيمة))[٧٥].

اما اذا اردنا الإشارة الى الأمور الأخرى (الخيرات الخارجية) وما يعرف بخيرات الحظ (الكرامة،المجد،السلطة، والأصدقاء.. الخ) فان السعادة لا تتمثل بها اطلاقا. ((ان السعادة لا تقوم بشيء من الخيرات الخارجية، من جهة الأول ان السعادة هي خير الانسان الأعظم فلا تحمل معها شرا وجميع الخيرات المتقدم ذكرها مشتركة بين الاخيار والاشرار. والثاني ان من حقيقة السعادة ان تكون كافية بنفسها فلا بد ان يحصل الانسان بحصوله عليها على جميع الخيرات الضرورية له ومن حصل على احد الخيرات المتقدم ذكرها فقد يفوته خيرات أخرى كثيرة ضرورية له، كالحكمة والعافية ونحوهما. والثالث ان السعادة هي الخير

Semi-annual journal issued by Department of Philosophical Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
Issn.2224-0934
Info@baytalhikma.iq

الكامل فلا يجوز ان يصدر عنها شرٌ لاحد، وهذا جائز في الخيرات المتقدمة، والرابع ان الانسان يتوجه الى السعادة بالمبادئ الداخلية لتوجهه اليها بالطبع والخيرات الأربعة، معلولة لعلل خارجية وفي الأكثر لثروة، ولذا يقال لها خيرات الثروة، ومن ذلك يتضح ان السعادة لا تقوم بهذه الخيرات المتقدمة بوجه من الوجوه)[٧٦]. لكن من الممكن ان تكون لتلك الخيرات أهمية تذكر في تحقيق السعادة الناقصة في الحياة العاجلة كما ذكر الاكويني نرغب في هذه الحياة في خيرات خارجية مثل خيرات الحظ، نرغب فيها لأنها تمكننا من العيش وأداء اعمال الفضيلة التأملية والفعالة، قد لا تكون ضرورية للسعادة، لكنها على الأقل أدوات لها [٧٧].

٣ـ تمثلات السعادة من النقص الى الكمال.

ينطلق الاكويني في تصوره لتمثلات السعادة المختلفة من منهج فلسفي تحليلي، يسعى من خلاله الى التمييز بين التمثلات الناقصة للسعادة، أي الخيرات الزائلة التي ينشغل بها الانسان في حياته، وبين التمثل الكامل الاسمى للسعادة الذي يتحقق برؤية الله مباشرة. ويرى ان اغلب الناس يميلون الى البحث عن السعادة في تجلياتها الدنيوية الزائلة كالمال والجاه والسلطة والتمتع الحسي بالملذات، غير ان هذه الخيرات الخارجية (رغم انها تلبي احتياجات الانسان) لكنها تبقى ناقصة لأنها محدودة بطبيعتها ولا تستطيع ان تمنح الانسان الكمال بالسعادة.

اذن فهو يميز بين نوعين من السعادة : السعادة الطبيعية التي يمكن تحقيقيها من خلال الجهد البشري، والسعادة الكاملة التي تتحقق فقط من خلال النعمة الإلهية [٧٨]. يبدأ الاكويني من السعادة الطبيعية او الناقصة كما يسميها. ويبين أولى تجلياتها ونقصد بها الغنى، يذهب الى القول باستحالة استحصال السعادة الكاملة بالغنى ((يستحيل قيام سعادة الانسان بالغنى، فإن الغنى نوعان : طبيعي وصناعي. فالغنى الطبيعي ما يستعين به الانسان على دفع النواقص الطبيعية كالمطعم والمشرب والملبس والمسكن ونحو ذلك، والغنى الصناع يما لا يستعين به الطبيعة في نفسه، كالمال بل توجده الصناعة البشرية لغاية تيسر التعامل فيكون بمثابة معيار يتعذر به ما يعرضه البيع والشراء وواضح ان سعادة الانسان يستحيل قيامها بالغنى الطبيعي. اذ انما يطلب تحصيله للقيام بحوائج طبيعة الانسان فلا يمكن ان يكون غاية الانسان القصوى بل الانسان غاية له، ولهذا الغنى ونحوه ادنى في رتبة الطبيعة من الانسان، ومصنوع لأجله، اما الغنى الصناعي فيطلب تحصيله لأجل الغنى الطبيعي لأنه لا يلمس الا لأنه يُشرى به ما هو ضروري لاستعمال الحيوة فأولى به اذا ان لا يكون متضمنا حقيقة الغاية القصوى فيستحيل اذن ان تكون السعادة التي هي غاية الانسان القصوى قائمة في الغنى)[٧٩]). وفي الكرامة نجده يقول : ((يستحيل قيام السعادة بالكرامة، انما يكرم انسان لخطره فتكون الكرامة علامة لذلك الخطر الكائن في المتكرم وشاهدا عليه. واعظم ما يعتبره خطر

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات الفلسفية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ٦٨٢ لسنة ١٩٩٩
ISSN ٠٩٣٤-٢٢٢٤ رقم الإيداع الدولي
info@bayalhikma.iq

الانسان من جهة السعادة التي هي خيره الكامل، ومن جهة اجرائها أي من جهة تلك الخيرات التي بها يحصل على كل شيء من السعادة، ولهذا يجوز ان تكون الكرامة لاحقة للسعادة ويمتنع قيام السعادة بها بوجه الاصالة)).[٨٠]

وفي السياق ذاته يرفض ان تكون السعادة في المجد ((يستحيل قيام سعادة الانسان بنباهة الشأن او المجد البشري، فإنما المجد علمٌ جليٌ مقرون بالحمد)).[٨١] اما عن السلطة ((فيستحيل قيام السعادة بها لوجهين : أولا تتضمن السلطة حقيقة المبدأ، وتتضمن السعادة حقيقة الغاية القصوى. وثانيا لان السلطة يجوز تعلقها بالخير والشر، والسعادة هي خير الانسان الحقيق والكامل وعلى هذا فربما جاز قيام ضرب من السعادة بحسن استعمال السلطة المستند الى الفضيلة ولكنه لا يجوز قيامها بالسلطة نفسها)) [٨٢].

وبالانتقال الى السؤال الأهم : ماذا عن الخيرات الداخلية؟ وما المقصود منها خيرات البدن والنفس، وهل نجد فيهما السعادة المرجوة؟ يوضح الاكويني ذلك بالتفصيل في قوله : ((يستحيل قيام سعادة الانسان بخيرات البدن لوجهين : أولا فلان ما يتوجه الى غيره على انه غاية له يستحيل ان تكون غايته القصوى حفظه في الوجود فالربان لا يقصد حفظ السفينة الموكولة اليه على انه غايتها القصوى فان غاية السفينة امرٌ اخر وهو الإبحار، وكما يوكل تدبير السفينة الى الربان كذلك يوكل الانسان الى ارادته وعقله. وثانيا، فلانه ولو فرض ان غاية الانسان وارادته هي حفظ الكيان الإنساني لم يجز مع ذلك ان تكون غاية الانسان شيئا من خيرات البدن فان وجود الانسان قائم بالنفس والجسد، واذا كان وجود الجسد متوقفا على النفس، فليس وجود النفس متوقفا على الجسد، والجسد موجود لأجل النفس كوجود المادة لأجل الصورة،...، ومن ثمة كانت خيرات النفس غاية لجميع خيرات البدن، فيستحيل اذن قيام السعادة التي هي الغاية القصوى بخيرات البدن)) [٨٣].

اذن فالبدن وخيراته ليس مصدرا او محطا للسعادة، اما عن النفس فهي الأخرى ((يستحيل ان تكون غاية الانسان القصوى او شيئا فيها لان النفس في حد ذاتها موجودةٌ بالقوة لأنها من عالمة بالقوة تصير عالمة بالفعل. ومن فاضلة بالقوة تصير فاضلة بالفعل. وبما ان القوة لأجل الفعل من هو كمالها يستحيل ان يكون ما هو في نفسه بالقوة متضمنا حقيقة الغاية القصوى فيستحيل اذن ان تكون النفس غاية قصوى لذاتها وكذا يستحيل ذلك في شيء فيها قوة كان او فعلا او ملكة لان الخير هو الغاية القصوى هو الخير الكامل المكمل... وكل خير في النفس فهو خير بالمشاركة، فهو خير جزئي فيستحيل اذن ان يكون شيء من ذلك غاية الانسان القصوى،..، الملخص اذن من ذلك ان الشيء الذي يشتهي على انه لغاية هو ما تقوم به السعادة ويجعل الانسان سعيدا ونيله يقال له سعادة فيلزم ان السعادة شيء في النفس، واما ما تقوم به السعادة فشيء خارج عن النفس)) [٨٤].

Semi-annual journal issued by Department of Philosophical Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
Issn.2224-0934
Info@baytalhikma.iq

وبذلك نصل الى حقيقة مفادها ان مصدر السعادة الكاملة خارج الموجود البشري من (نفس وبدن)، اذن من اين تأتي؟ وما هي؟ وهل يمكن تحقيقها في هذه الحياة؟

على الرغم من ان الانسان يملك استعدادا طبيعيا للسعادة، وكذلك الإرادة والعقل اللذان يساعداه في الرغبة والتفكير، لمحاولة الوصول اليها، الا انه لا يحصل عليها ــ كما يرى الاكويني ــ الا عن طريق النعمة الإلهية التي تلعب دورا أساسيا في تحقيق السعادة الكاملة حيث ترفع الانسان الى مستوى يفوق قدراته الطبيعية. وهو يستند في ذلك الى ما ورد في النص المقدس أي ان الغاية القصوى او السعادة الكاملة للإنسان تتحقق برؤية الله ((المراد بالسعادة ادراك الخير الكامل فاذاً كل من يقدر على ادراك الخير الكامل يقدر على ادراك السعادة. وكون الانسان قادرا على ادراك الخير الكامل يظهر من ان الانسان يقدر على رؤية الذات الإلهية، ان سعادة الانسان الكاملة قائمة بهذه الرؤية))[٨٥]. ان غاية الانسان النهائية وسعادته لا بد ان تكمن في رؤية الله على نحو ما هو ذاته ورؤية الماهية الإلهية، وهي الرؤية التي وعدنا بها الكتاب المقدس، والتي بواسطتها سوف يرى الانسان الله وجها لوجه... إذن فان القديس توما كان على وعي تام بأنه ليس ثمة جوهر مخلوق يستطيع بقواه الطبيعة ان يصل الى رؤية الله في ماهيته وانه لبلوغ هذه الرؤية مطلوب ان يكون هناك ارتفاع اعلى من مستوى الطبيعة[٨٦]. السعادة الحقيقية هي التمتع الكامل بالله، وهي الغاية النهائية التي يسعى اليها الانسان(٨٧) أي ان جوهر السعادة عنده يقوم على الانجذاب الكلي الى الله باعتباره الخير الاسمى حيث يصل العقل الى غايته الطبيعية في المعرفة، وتتحقق إرادة الانسان في المحبة الكاملة [٨٨]. ((كونه هو السعادة بذاته فهو ليس سعيدا بنيل شيء اخر او بالمشاركة فيه بل بذاته... ذلك انه الغاية القصوى التي تطلق على السعادة بالمعنى الذي به تطلق الغاية على نيل الغاية)) [٨٩].

بناء على ذلك، فان ماهية السعادة الكاملة تتجلى برؤية الله، وهي لا تتحقق الا في الحياة الآجلة. اما الحياة العاجلة فالسعادة الميسورة لنا سعادة ناقصة تقوم أولا واصالة بمعرفة الله ومحبته. وثانيا بمزاولة الفضائل وأخيرا بصحة الجسم وبالخيرات الخارجية أن امكن، ومن مال وكرامة، تستخدم كوسائل للحياة الفاضلة، فان السقم والفاقة يعوقان عن أفعال فاضلة كثيرة.[٩٠]

الآن ونحن نتحدث عن تمثل السعادة الكلي في الحياة الآجلة، يرد سؤالا مهما، هل ستتحقق السعادة للروح فقط من دون الجسد، ام ان كليهما سينعم بها؟ لكي نجيب عن هذا التساؤل علينا أن نشير أولا الى كون الاكويني هو فيلسوف مسيحي، وان المصدر الرئيس لفكره هو تعاليم الكتاب المقدس والتي تستند الى مبدأ خلود الانسان (وحدة متكاملة روح وبدن) في الحياة الآجلة. وهو ما نجده بينا في فلسفة الاكويني والذي اكد في اكثر من مناسبة ان الانسان سيحيياً من جديد

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات الفلسفية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ٦٨٢ لسنة ١٩٩٩
ISSN ٠٩٣٤-٢٢٢٤ رقم الإيداع الدولي
info@bayalhikma.iq

في الحياة الأخرى. تجتمع جميع الخيرات مرة أخرى، متسامية ومرتبة في سعادة سماوية ـــ كما يرى القديس توما ـــ حتى عندما يرى الانسان الله وجها لوجه في الرؤية السعيدة، حتى عندما تصبح الروح تشبه ذكاءً منفصلاً. فان سعادة الانسان ليست سعادة روح منفصلة عن جسدها، سيظهر المركب مرة أخرى داخل مجد السماء ذاته. إن الروح التي اتحدت مع ذلك الجسد الذي كان في يوم من الأيام حيوانيا ولكنه الآن روحاني في المجد، لم تعد بحاجة الى السير وراء الخيرات المادية المقدرة على الأرض للحياة المادية. لم تعد بحاجة الى أي صديق اخر سوى إلهها الذي يواسيها بابديته وحقيقة محبته. ومع ذلك يمكننا ان نؤمن بان فرح السماء ليس منعزلا، وان النعيم السماوي مصحوب برؤية المباركين لفرح بعضهم البعض، والتي تزينها الصداقات الأبدية، وبذلك فإن النعيم المسيحي هو نعيم الانسان كله [٩١].

رابعا ـ نقاط الالتقاء والاختلاف حول تمثلات السعادة بين الفلاسفة الثلاث (اوغسطين، بؤثيوس، الاكويني)

١ـ نقاط الالتقاء

ـــ تعد السعادة غاية قصوى للوجود الإنساني، اذ يتفق الثلاثة على ان السعادة هي الغاية النهائية (القصوى) للتجربة الانطولوجية الإنسانية، وان جميع أفعال الانسان وسلوكه تنزع بالضرورة نحو تحقيقها. عند اوغسطين تبين ان السعادة تتحقق في الاتحاد الكلي بالموجود الأعظم (الله) لانه الخير الاسمى. اما بؤثيوس فالسعادة عنده هي الخير الأقصى الذي يسعى اليه الانسان ليأمن تقلبات الحظ، وتمثلات السعادة الزائفة المختلفة. وعند الاكويني السعادة هي بلوغ الكمال الإلهي وتحقيق المشاهدة الفعلية. وهنا يشترك الفلاسفة الثلاثة في رؤية غائية (ميتافيزيقية) تُعد السعادة غاية نهائية، لكنهم يختلفون في الوسيلة للوصول اليها، وفي طبيعة ماهيتها.

ـ البعد الإلهي، يمثل المرتكز الأساس في تحقيق السعادة. فعلى الرغم من اختلافهم في الطابع اللاهوتي للفكرة الا انهم جميعا يربطون السعادة بالعالم الماورائي، وبتصور ميتافيزيقي بحت. اوغسطين رأى السعادة لا تتحقق الا في الحياة الأخرى السماوية (مدينة الله) حيث الاتحاد المطلق بالله. بؤثيوس اكد على ان السعادة بالمشاركة بالطبيعة الإلهية وادراكها في العقل، أي وصول العقل الى الخير الكلي والحصول على السعادة الحقيقية. اما الاكويني ربط السعادة بالرؤية المباشرة لله وجها لوجه.

ـ التمييز بين السعادة الزائفة والحقيقية، اتفق الفلاسفة الثلاثة، على مبدا القول بوجود سعادة ناقصة مؤقتة يمكن ان تتحقق في الأرض أي في الحياة الراهنة، لكنها لا تدوم وتتسم بالنقص والتغير. وسعادة كاملة ثابتة لا تتغير تتحقق في الاتحاد الكلي بالموجود الأعلى (الله). وهو ما ورد لديهم على وجه الدقة، اذ ميز اوغسطين

Semi-annual journal issued by Department of Philosophical Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
Issn.2224-0934
Info@baytalhikma.iq

بين الحياة السعيدة الحقيقية، والسعادة الدنيوية المؤقتة الزائفة. ووضح بؤثيوس ان خيرات الدنيا وحظوظها من الثروة والسلطة والمجد واللذات الحسية كلها تمثلات مختلفة للسعادة الزائفة، بينما السعادة الحقيقية تتمثل بالخير الأقصى وادراكه. وبالانتقال الى توما الاكويني نجده يؤكد ان مهما اشتملت الحياة العاجلة من ملذات وخيرات خارجية وداخلية الا انها تظل ناقصة وقابلة للزوال والتغير، لأنها لا تصل الى الكمال الذي يمكن استحصاله بالحياة الآجلة التي تحتوي على السعادة الحقيقية الكاملة.

ـ دور الإرادة والفضيلة، برزت الإرادة في كونها السبيل للوصول الى السعادة عن الفلاسفة المسيحين الثلاثة اذ لا يمكن تحقيق الفضيلة والوصول الى السمو الأخلاقي من دون إرادة خيرة يسعى الانسان من خلالها الوصول الى الخير ومن ثم السعادة.

وفي سياق تسليط الضوء على ابرز نقاط الالتقاء بين الفلاسفة الثلاثة لربما من الضروري طرح السؤال المهم: الى أي مدى تمكن الفلاسفة المسيحيون الثلاثة (اوغسطين وبؤثيوس والاكويني) من تجاوز حدود عصرهم في تناول مفهوم السعادة؟ وهل استطاعوا تقديم رؤية فلسفية تتخطى الأطر الفكرية والدينية السائدة في القرون الوسطى؟

نجيب بالقول ان الفلاسفة الثلاثة انطلقوا في بحثهم عن مفهوم السعادة من داخل الاطار الديني واللاهوتي المسيحي، لكنهم في الوقت ذاته قدموا اسهامات فلسفية جعلتهم يتجاوزون حدود عصرهم في اكثر من بعد وان كان بدرجات متفاوتة، وحملوا من خلال نصوصهم الفلسفية رؤى عن تمثلات السعادة، جعلتهم جسورا فلسفية اصيلة بين الفلسفة القديمة والفكر المسيحي الوسيط، وتركوا تصورات مازالت الى اليوم مؤثرة في الأبحاث الفلسفية واللاهوتية المعاصرة.

ثانيا ــ نقاط الاختلاف

ـ اختلاف البعد الميتافيزيقي كأداة لدراسة تمثلات السعادة

اعتمد اوغسطين على اللاهوت المسيحي المبكر، اذ تضمنت رؤيته عناصر افلاطونية محدثة، حيث تكون الروح في صراع مع الجسد، والسعادة تتحقق في الخلاص من الجسد والعودة للاتحاد مع الله. اما بؤثيوس فمزج بين الفكر الرواقي والعناصر المسيحية، وركز على العقل بوصفه أداة الارتقاء نحو الخير الأقصى والالهي الذي يتضمن السعادة الحقيقية. ومع توما الاكويني استند الى العناصر الارسطية المسيحية، وهو الامر الجلي الذي أشار اليه في ثنايا نصوصه في (الخلاصة) اذ اكمل طريق ارسطو في قراءته للسعادة، فهو يرى ان النفس والجسد وحدة واحدة وسوف تكون السعادة لكليهما معا، وان العقل يشق طريقه نحو السعادة التي ينعم الله بها على الانسان، تتجلى

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات الفلسفية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ٦٨٢ لسنة ١٩٩٩
ISSN ٠٩٣٤-٢٢٢٤ رقم الإيداع الدولي
info@bayalhikma.iq

بتحقيق المشاهدة الإلهية.

اذن يمكن القول ان اوغسطين كان ذا بعدٍ روحي ـــ لاهوتي، اما بؤثيوس فكان عقلانيا ـــ تأمليا، والاكويني سعى جاهدا ان يجمع بين العقل والوحي ليقدم قراءة عقلانية لاهوتية عن تمثلات السعادة.

ـــ مصدر السعادة وطبيعتها، تباين الفلاسفة الثلاثة في مصدر السعادة وطبيعتها، فبينما ذهب اوغسطين الى ان السعادة لا تنال الا بنعمة الله، ولا يمكن لعقل البشري بلوغها، نلاحظ ان بؤثيوس اكتفى بقدرة العقل على ادراك الخير الأقصى. وفي السياق ذاته يرى الاكويني ان الانسان يحتاج الى العقل التأملي للتفكير بجوهر السعادة، لكن لا يمكن ان يصل اليها الا بالنعمة الإلهية التي تمكنه من تحقيق الرؤية المباشرة للجوهر الإلهي. أي يمكن القول انهم اتفقوا على ان مصدر السعادة هو الكائن الاسمى، لكنهم اختلفوا في طبيعتها.

ـ على الرغم من ان الفلاسفة الثلاثة اكدوا على أهمية الإرادة في الوصول الى السعادة، الا ان كل واحد منهم ابرز دورا خاصا لها، نبدأ بالقديس اوغسطين الذي يرى ان الإرادة الحرة لا تستقر الا اذا استنارت بالنعمة الإلهية واستندت الى الفضائل التي تنظم توجهها وتعده للوصول الى الله. بينما اكد بؤثيوس على ان الإرادة العاقلة حين تتمسك بالفضيلة تتحرر من تقلبات الحظ وتسمو فوق الخيرات الزائفة لتصل الى الخير الأعظم. في حين ان توما الاكويني اعتبر ان الإرادة لا تبلغ غايتها القصوى الا حين يوجهها العقل وتدعمها الفضائل الطبيعية واللاهوتية، لتستعد لرؤية الله.

الخاتمة

وفي ختام بحثنا توصلنا الى مجموعة من النتائج نذكرها على النحو الآتي :

١ـ يؤشر البحث مدى مركزية السعادة في الفلسفة المسيحية الوسيطة، اذ تبين ان مفهوم السعادة يمثل الغاية القصوى للوجود الإنساني عند اوغسطين وبؤثيوس والاكويني، ما يمنح قراءتهم بعدا ميتافيزيقيا واضحا قائما على فكرة الغاية النهائية.

٢ـ وضح البحث حقيقة ان جميع الناس يتوقون الى السعادة، اذ ثمة نزوع طبيعي نحوها، ذلك انه تشكل جزءاً انطولوجيا أساسيا في وجوده، وهو ما اتفق عليه الفلاسفة الثلاثة ووضحوه في مجمل نصوصهم.

٣ـ عند تحليل نصوص الفلاسفة الثلاثة الخاصة بموقفهم من تمثلات السعادة وجدنا انهم اتفقوا على ان لها نوعين من التمثلات، الأولى زائفة مؤقتة تتمثل بمجمل مظاهر الحياة الآجلة من غنى ومجد وسلطة ولذات حسية.. الخ. والثانية حقيقية دائمة لا تدرك في هذه الحياة وانما لها ميقات معين حدده الفلاسفة في الحياة الآجلة، أي ان لا سعادة حقيقية في العالم الأرضي. ونشير الى ان موقفهم

Semi-annual journal issued by Department of Philosophical Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
Issn.2224-0934
Info@baytalhikma.iq

الفكـري ــ الديني هذا انما يمثـل البعد الميتافيزيقي بأقصى صوره في الفكر الإنساني.

٤ـ البعـد الأخلاقـي والروحـي هـو المرتكـز الأسـاس للسـعادة، اذ أظهرت الدراسـة ان تحقيق السـعادة يتطلـب تكامـل الفضائـل الأخلاقيـة والروحية، وهو ما وجدناه عند الفلاسفة الثلاثة.

٥ـ تباين الرؤى الفلسفية بين المفكرين الثلاثة. اذ قدم اوغسـطين تصورا روحيـا خالصا يجعل من السعادة اتحادا تاما بالله، مؤكدا دور الإرادة والنعمة الإلهيـة. بينـما حـاول بؤثيـوس الجمـع بـين العقل والايمان فجعل السـعادة مرهونـة بتحقيق الفضيلة والارتقاء بالعقل، مع معالجة فلسـفية لمسألة القدر والحريـة وعلاقتهما بالتخلص من مظاهر السـعادة الزائفة والانتقال الى السـعادة الحقيقية. والاكويني أسـس مذهبا فلسفيا متماسـكا، جامعا بين الفلسفة الارسـطية واللاهـوت المسـيحي، وأصبحت معه الإرادة والفضيلة هي وسائل في الدنيا للوصول الى السعادة الحقيقية.

التوصيات

١ـ تعميـق دراسـة مفهـوم السـعادة في المجال الفلسـفي من خـلال ما قدمه الفلاسـفة عبر تاريخ الإنسانية، ومحاولة الإفادة مما ورد في نصوصهم من تحليل عناصرها الجوهرية لإدراك طبيعتها وشروط تحقيقهـا، مما يعـزز التجربة الوجودية للإنسـان من حيث المعنى والغاية.

٢ـ التركيز على البعد الانثروبولوجي للسعادة، وذلك من خلال دراسـة النفس والجسـد في تحقيق السعادة، لا سيما في فلسفة القديس توما الاكويني.

٣ـ تـوصي الدراسـة بالاسـتفادة مـن الـرؤى الفلسـفية الوسـيطة في الدراسـات المعاصرة حول حقيقة السعادة.

الهوامش

(١) جميـل صليبـا، المعجـم الفلسـفي، ج٢، ذوى القربـى، ١٣٨٥هـ، ص٥٦١.

(٢) المرجع نفسه، ص٥٦١.

(٣) ارسـطو، علـم الاخـلاق الى نيقوماخـوس، ترجمـة مـن اليونانية بارتملي سـانتهلير، نقلـه الى العربية، احمد لطفي السيد، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٢٤، ص١٨٩.

(٤) المصدر نفسه، ص١٩٢.

(٥) عبـد الرحمـن بـدوي، دراسـات في الفلسـفة الوجودية، ط٣، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٣، ص٨٣ـص٨٤.

(٦) عبـد الرحمـن بـدوي، دراسـات في الفلسـفة الوجودية، المرجع السابق، ص٢١٦.

(٧) اوغسـطين، الاعترافـات، ترجمـة، يوحنـا الحلـو، دار المشرق، بيروت، ٢٠٠٧، ص٢١٤.

(8)Continuity، Againstdis، Augustine s theory of happiness re considered، Teng He Vol 78، 4-11-2022.

(٩) معز مديوني، مقدمة في فكر اوغسطينيوس، دار جداول، لبنان، ٢٠١١، ص٨٣.

(١٠)اوغسـطين، الاعترافـات، المصدر السـابق، ص٢١٤ـ ٢١٥.

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات الفلسفية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ٦٨٢ لسنة ١٩٩٩
ISSN ٠٩٣٤-٢٢٢٤ رقم الإيداع الدولي
info@bayalhikma.iq

(١١) المصدر السابق، ٢١٥.

(١٢) علي زيعور، اوغسطينيوس، دار اقرا، ١٩٨٣، ص٢١٨.

(١٣) اوغسطين، الاعترافات، المصدر السابق، ٢١٥ـ٢١٦.

(١٤) اوغسطين، الاعترافات، المصدر السابق، ص٢١٦ـ ٢١٧.

(١٥) اوغسطين، مدينة الله، ط٢، ترجمة، يوحنا الحلو، دار المشرق، بيروت، ٢٠٠٧، ص١١٣ ـ ص١١٤.

(١٦) علي زيعور، اوغسطينيوس، المرجع السابق، ص٢٢٢.

(17) Augustine، On the happy life، New translation، vol 1، trans by، Marcus Dods، Eudinburgh، T.& Clark، 19872، p52.

(18)Etinne Gilson، The chrisitian philosophy of Augustine، Random Hous، 1960، p64.

(19)James Wetzel، Augustine and the Limits of virtue، Cambridge University، 1992، p123.

(20) Robert O›Connell، Augustines Earlt Thery of man Harvard University،1968، p209.

(٢١) اتين جيلسون، روح الفلسفة المسيحية، ترجمة، امام عبد الفتاح امام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١١، ص ٣٤٧.

(٢٢) اوغسطين، في الاختيار الحرّ للإرادة، ترجمة، عبد الستار السعدي، دار الرافدين، بغداد، ٢٠٢٣، ص ٤٩ ـ ص٥٠.

(٢٣) فردريك كوبلستون، تاريخ الفلسفة، ج٢، مج ١، ترجمة، امام عبد الفتاح امام، المركز القومي للترجمة، ٢٠١٠، ص١١٧.

(٢٤) اوغسطين، مدينة الله، مج١، المصدر السابق، ص٢٥٣.

(٢٥) اوغسطين، في الاختيار الحرّ للإرادة، المصدر السابق، ص١٢٣.

(٢٦) اوغسطين، الاعترافات، المصدر السابق، ص ١٩٧ـ ص١٩٨.

(٢٧)اوغسطين، مدينة الله، مج١، ص٢٣٨.

(٢٨) المصدر نفسه، ٣٠٩.

(29) Gilson، Ibid،p142.

(٣٠) جيلسون، المصدر السابق، ص٤٠٠.

(31) Augustine، Trilogy on faith and happiness، Trans by Roland J.Teske ST، Michael conmpbell، os، and Raykearney، introduction and notes by Michael fiedrowic and Roland، New York، 2010، p56.

(٣٢) اوغسطين، الاعترافات، المصدر السابق، ص٢١٨.

(٣٣) علي زيعور، اوغسطينيوس، المرجع السابق، ص٢١٨.

(٣٤) اوغسطين، الاعترافات، المصدر السابق، ص٢٣.

(35) George P.Klubertanz، The Discursive power، the modern scttoolman، saint Louis 3، Missouri، 1952، p55)

(36) Armanda. Maurer، medieval philosophy، Random House، New York، 1962، p22.

(٣٧) بؤثيوس، عزاء الفلسفة، ص١٢٩.

(٣٨) المصدر نفسه، ص١٣٠.

(٣٩) بؤثيوس، المصدر السابق، ص١٢٩.

(٤٠) المصدر نفسه، ص١٣٢.

(٤٠) المصدر نفسه، ص١٠٠.

Semi-annual journal issued by Department of Philosophical Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
Issn.2224-0934
Info@baytalhikma.iq

(٤١) قـدم بؤثيوس فلسـفة مميـزة عن الحظ بعـده جزءا من انطولوجيتـه الاصيلة والذي سـيرافقه عـلى مدى حياته وينقطـع بمماته، كذلك بين مدى أهميـة فهم ماهيته التي تتصـف بالتغـير والتقلـب على نحـو صحيح مـن اجل الوصـول الى الطمأنينـة ومن ثم السـعادة. للمزيد حول ذلـك يراجـع بحثنا : فلسـفة الحـظ عند بؤثيـوس، مجلة الفلسـفة، الجامعـة المسـتنصرية، العـدد ٣١، حزيـران، ٢٠٢٥، ص٦٧ـ ٨٥. وللاطلاع اكثر عن هذا الموضوع واهميته يراجع :

Rakes، Jerold C. The Fate of Fortune in the Early Middle Ages: The Boethian Tradition. Studien und Texte zur Geistesgeschichte des Mittelalters، vol. 23، E. J. Brill، 1988.

Kaylor، Noel Harold، Jr.، and Philip Edward Phillips، editors. A Companion to Boethius in the Middle Ages. Brill's Companions to the Christian Tradition، vol. 30، Brill، 2012.

Papahagi، Adrian. Boethiana Mediaevalia: A Collection of Studies on the Early Medieval Fortune of Boethius' Consolation of Philosophy. Zeta Books، 2010.

(٤٢) بؤثيوس، المصدر السابق، ص١١٢.

(٤٣) المصدر نفسه، ١١٧.

(٤٤) بؤثيوس عزاء الفلسفة، ص١٤٢.

(٤٥)المصدر نفسه، ص١٤٣.

(٤٦) المصدر نفسه، ص١٤٨.

(٤٧) المصدر نفسه، ص١٤٩.

(٤٧) المصدر السابق، ص١٥٥.

(48) John Marenbon، Boethius، Oxford، 2003، p106.

(49)Allison Glasscok، Aconsisteut consolation، stance 2، 2009، pp42-48.

) بؤثيوس، المصدر السابق، ص١٣١.

(٥٠) المصدر نفسه، ص١٦٨.

(٥١) بؤثيوس، المصدر نفسه، ص١٦٤.

(52) Inwood، Brad، Ethics and Human Action in Early stoicism،Oxford، 1985. and، Long A. A.، and Sedlley، D. N. The Hellenisistic philosophers. translations of the primipal soures with philosophical commentary، Cambridge University، 1987.

(٥٣) بؤثيوس، المصدر نفسه، ص١٦٤.

(54) Armand A. Maurer، Ibid، p25.

(٥٥) بؤثيوس، عزاء الفلسفة، ص١٦٦.

(56) Chadwick، Henry، Boethius، the consolations of music logic، theology، and philosophy، Oxford University، 1981،p28. and Scott، Dominic، Levels of Happines inBoethius، British Jorrnal for the History of philosophy، Vol 14، 2006، pp211-232.

وينظر أيضا : حسـن حنفي، دراسـات في الفلسفة المسيحية،

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات الفلسفية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ٦٨٢ لسنة ١٩٩٩
ISSN ٠٩٣٤-٢٢٢٤ رقم الإيداع الدولي
info@bayalhikma.iq

مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٢، ص١٠٢.

(٥٧) بؤثيوس، عزاء الفلسفة، ص٢٠٢.

(58)King، Peter، The problem of Evilin Boethius، Cambridge Unversity، 2009، pp251-276.

(٥٩) بؤثيوس، المصدر السابق ص١٠٠. وللمزيد حول هذا يراجع : سعيد أناشيد، الوجود والعزاء ـ الفلسفة في مواجهة خيبات الامل، دار التنوير، ٢٠٢٠.

(60) Marin off، Lou، philosophical practical practice، Rowman &RLittle field publishers، 2001، p5.

(٦١) يراجع مجمل نصوص الاكويني التي استند فيها الى عرض ومناقشة أفكار ارسطو و اوغسطين : الاكويني، الخلاصة اللاهوتية ظ وج٣، ترجمة، بولس عواد، بيروت، ١٨٦١، ص١٨٦ـص٢٤٩.

(62)Joseph Stenberg،Aquinas and The Ethics of Happiness، Cambridge University،2025،p42.

(٦٣) الاكويني، المصدر السابق، ص١٨١ ـ ص١٨٢.

(64)Etienne Gilson، The Christian philosophy of ST. Thomas Aquinas، trans، L.K. shook، C.S.B.، random House، New York، 1956،pp351-352.

(٦٥) الاكويني الخلاصة اللاهوتية، ص٢٤٧ـ ص٢٤٨.

(٦٦) المصدر نفسه، ص٢٠٦.

(67) Gilson، Ibid، p354.

(68)Wippel، J، F. The Ultimate Happiness in Aguinas، The Thomist، 2001، p246.

(٦٩) الاكويني، المصدر السابق، ص٢١٠.

(70)Gilson،Ibid، p354.

(٧١) الاكويني، الخلاصة اللاهوتية، ص٢٢١.

(٧٢) المصدر نفسه، ص٢٢٢.

(٧٣) المصدر نفسه، ص١٨٩.

(74)Gilson، Ibid، p356.

(75)Joseph Stenberg، Ibid، p225.

(٧٦) الاكويني، المصدر السابق، ص١٨٤.

(٧٧)الاكويني، الخلاصة اللاهوتية، ص١٨٥..

(٧٨) المصدر نفسه، ص١٨٧.

(٧٩) المصدر نفسه، ص١٨٩.

(٨٠)المصدر نفسه، ص١٩١.

(٨١) الاكويني، الخلاصة اللاهوتية، ص٢٣٣

(٨٢) فردريك كوبلستون، تاريخ الفلسفة، مج٢ـ قسم ٢، ترجمة، امام عبد الفتاح امام، مراجعة، امام عبد الفتاح امام، المركز القومي للترجمة، ٢٠١٠، ص١٤٥.

(83) Brian Davies، The Oxford Hand book of Aquinas، Oxford University، 2012، p215.

(84) Eleanor Stump، Aquinnas، Routede، 2003، p389.

(٨٥) الاكويني، الخلاصة اللاهوتية، ص٢٠٠.

(٨٦)يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الاوربية في العصر الوسيط، دار الكاتب المصري، القاهرة، ١٩٤٦، ص١٩٦.

(87) Gilson، Ibid، p356.

Semi-annual journal issued by Department of Philosophical Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
Issn.2224-0934
Info@baytalhikma.iq

المصادر والمراجع

•Augustine. On the Happy Life. Translated by Marcus Dods. Edinburgh: T. & T. Clark، 1872.

• Augustine. Trilogy on Faith and Happiness. Translated by Roland J. Teske O.S.A.، Michael Campbell، and Ray Kearney. Introduction and notes by Michael Fiedrowicz and Roland Teske. New York: New City Press، 2010.

• Chadwick، Henry. Boethius: The Consolations of Music، Logic، Theology، and Philosophy. Oxford: Oxford University Press، 1981.

• Davies، Brian. The Oxford Handbook of Aquinas. Oxford: Oxford University Press، 2012.

• Gilson، Étienne. The Christian Philosophy of Augustine. New York: Random House، 1960.

• Gilson، Étienne. The Christian Philosophy of St. Thomas Aquinas. Translated by L. K. Shook، C.S.B. New York: Random House، 1956.

• He، Teng. "Continuity، Against Discontinuity: Augustine's Theory of Happiness Reconsidered." Vol. 78 (year not specified).

• Inwood، Brad. Ethics and Human Action in Early Stoicism. Oxford: Oxford University Press، 1985.

• Kaylor، Noel Harold، Jr.، and Philip Edward Phillips، eds. A Companion to Boethius in the Middle Ages. Brill's Companions to the Christian Tradition، vol. 30. Leiden: Brill، 2012.

• King، Peter. The Problem of Evil in Boethius. Cambridge: Cambridge University Press، 2009.

• Klubertanz، George P. The Discursive Power: The Modern Schoolman. St. Louis، Missouri: The Modern Schoolman، 1952.

• Long، A. A.، and D. N. Sedley. The Hellenistic Philosophers: Translations of the Principal Sources with Philosophical Commentary. Cambridge: Cambridge University Press، 1987.

• Marenbon، John. Boethius. Oxford: Oxford University Press، 2003.

• Marinoff، Lou. Philosophical Practice. Lanham، MD: Rowman & Littlefield Publishers، 2001.

• Maurer، Armand A. Medieval Philosophy. New York: Random House، 1962.

• O'Connell، Robert J. Augustine's Early Theory of Man. Cambridge، MA: Harvard University Press، 1968.

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات الفلسفية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ٦٨٢ لسنة ١٩٩٩
ISSN ٠٩٣٤-٢٢٢٤ رقم الإيداع الدولي
info@bayalhikma.iq

• Papahagi، Adrian. Boethiana Mediaevalia: A Collection of Studies on the Early Medieval Fortune of Boethius' Consolation of Philosophy. Bucharest: Zeta Books، 2010.

• Rakes، Jerold C. The Fate of Fortune in the Early Middle Ages: The Boethian Tradition. Studien und Texte zur Geistesgeschichte des Mittelalters، vol. 23. Leiden: E. J. Brill، 1988.

• Stenberg، Joseph. Aquinas and the Ethics of Happiness. Cambridge: Cambridge University Press، 2025.

• Stump، Eleonore. Aquinas. London: Routledge، 2003.

• Wetzel، James. Augustine and the Limits of Virtue. Cambridge: Cambridge University Press، 1992.

• Wippel، John F. "The Ultimate Happiness in Aquinas." The Thomist، 2001.

•أرسطو. علم الأخلاق إلى نيقوماخوس. ترجمة من اليونانية بارتلمي سانتهلير، نقله إلى العربية أحمد لطفي السيد. القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٢٤.

• أوغسطين. الاعترافات. ترجمة يوحنا الحلو. بيروت: دار المشرق، ٢٠٠٧.

• أوغسطين. مدينة الله. مج ١، ترجمة يوحنا الحلو، ط٢. بيروت: دار المشرق، ٢٠٠٧.

• أوغسطين. في الاختيار الحر للإرادة. ترجمة عبد الستار السعدي. بغداد: دار الرافدين، ٢٠٢٣.

• الأكويني، توما. الخلاصة اللاهوتية، ج٣. ترجمة بولس عواد. بيروت، ١٨٦١.

• أناشيد، سعيد. الوجود والعزاء ـ الفلسفة في مواجهة خيبات الامل، دار التنوير، ٢٠٢٠.

• بدوي، عبد الرحمن. دراسات في الفلسفة الوجودية. ط٣. بيروت: دار الثقافة، ١٩٧٣.

• جيلسون، اتين. روح الفلسفة المسيحية، ترجمة، امام عبد الفتاح امام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١١.

• حنفي، حسن. دراسات في الفلسفة المسيحية. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٢.

• زيعور، علي. أوغسطينيوس. بيروت: دار اقرأ، ١٩٨٣.

• صليبا، جميل. المعجم الفلسفي، ج٢. بيروت: ذوي القربى، ١٣٨٥هـ.

• كوبلستون، فردريك. تاريخ الفلسفة، ج٢، مج١. ترجمة إمام عبد الفتاح إمام. القاهرة: المركز القومي للترجمة، ٢٠١٠.

• كوبلستون، فردريك. تاريخ الفلسفة، مج٢، قسم ٢. ترجمة ومراجعة إمام عبد الفتاح إمام. القاهرة: المركز القومي للترجمة، ٢٠١٠.

• كرم، يوسف. تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط. القاهرة: دار الكاتب المصري، ١٩٤٦.

• مديوني، معز. مقدمة في فكر أوغسطينيوس. لبنان: دار جداول، ٢٠١١.

• والي، زينب. فلسفة الحظ عند بؤثيوس. مجلة الفلسفة، الجامعة المستنصرية، العدد ٣١ (حزيران ٢٠٢٥)

Semi-annual journal issued by Department of Philosophical Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
Issn.2224-0934
Info@baytalhikma.iq

Representations of Happiness in Medieval Christian philosophy: A study of the Thought of Augustine, Boethius, and Thomas Aquinas

Dr . Zainab Waly Shwia

Al–Mustansiriya University_College of Arts_Department of Philosophy

Abstract

This study examines the representations of happiness in medieval Christian philosophy through the thought of Augustine, Boethius, and Thomas Aquinas. It focuses on analyzing the philosophical and theological foundations underlying their perspectives, and on how these contributed to shaping a comprehensive conception of happiness that balances reason and faith, viewing it as the ultimate telos of human existence. The research shows that each philosopher offered a distinct account: Augustine conceived of happiness as a spiritual end realized in union with God; Boethius emphasized the role of reason and virtue in attaining it; while Aquinas developed a rational framework that integrated both theological and philosophical elements, culminating in perfect happiness manifested in the vision of God. The study concludes that these conceptions were not merely reflections of their intellectual and religious milieu, but rather contributed to a reconfiguration of the philosophical notion of happiness, endowing medieval Christian thought with a profound originality and leaving a lasting impact on subsequent Western philosophy.

Keywords:Happiness — Augustine — Boethius — Thomas Aquinas — God